وزارة التـــعليـم العـــالي والبـحـــث العـلـمي
جـــامعـــة أكـلـي مـحـند أولـــحـــاج – البويرة-
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية (شعبة التاريخ)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ الوسيط

(الإسلامي) موسومة بـ:

الحواضر العلمية في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط بين القرن 2هـ - 9هـ / 8م - 15 م

(دراسة مقارنة)

إعداد الطالبتين:
نسرين عامر يحي
أسماء بوشارب

إشراف الأستاذ:
نسيم حسبلاوي

السنة الجامعية : 1435-1436هـ/2014-2015م

وزارة التـــعـلـيـم العـــالـي والبـحـــث العـلـمي

جـــامعـــة أكـلـي مـحـند أولـــحـــاج – البويرة-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية (شعبة التاريخ)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ الوسيط

(الإسلامي) موسومة بـ:

الحواضر العلمية في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط بين القرن 2هـ - 9هـ / 8م - 15 م

(دراسة مقارنة)

إعداد الطالبتين:

نسرين عامر يحي

أسماء بوشارب

إشراف الأستاذ:

نسيم حسبلاوي

لجنة المناقشة:

بريكي فاتح.....رئيسا.

نسيم حسبلاوي.....مشرفا.

بودريعة ياسين.....مناقشا.

السنة الجامعية : 1435-1436هـ/2014-2015م

تعهد وعرفان

الحمد لله الذي أنار طريقنا وثبت خطانا وأمدنا بالصبر لإكمال المشوار

والحمد لله ربي العالمين الذي أحيا قلوب العارفين بنور معرفته ، أحيا نفوس العابدين بنور عبادته هو العادل الذي لا يجور في حكمه .

أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل والمشرف على هذا العمل

الأستاذ : حسبلاوي نسيم .

الذي قدم لنا يد العون ولم يبخل علينا بتوجيهاته الخاصة و أراءه العلمية ونصائحه المثمرة التي أفادتنا في موضوعنا فله منا جزيل الشكر وفائق الاحترام والتقدير كما أتقدم بالشكر إلى أساتذة جامعة البويرة قسم التاريخ .

إلى كل من ساهم في هذا العمل من قريب أو من بعيد .

إهداء

إلى من أرضعتني الحب و الحنان إلى رمز الحب

و بلسم الشفاء إلى القلب الناصع بالبياض أمي الحبيبة

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم

و علمني أن الحياة كفاح و نضال أبي العزيز

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة و النفوس البريئة إلى رياحين حياتي

أخواتي و إخوتي عبد المالك و عبد الحق و حميد و عادل

إلى أخواتي الغاليات و أزواجهم و خاصة أختي خليصة

إلى كتاكيت أية و صابر و فؤاد ، منال، إسلام ، زهير

إلى زوجي العزيز إلى كل ما سندي و ساعدني من قريب

و بعيد إلى كل عائلة بوشارب و العواري

إلى أصدقائي صونيا و نبيلة و وردية و فضيلة

و زميلة في البحث : نسرين

أسماء

إهداء

إلى والدي العزيزين حبيبتي أمي

وحبيبي أبي .

إلى سندي وعطائي إخوتي (لياس ، لمين)

إلى روح خالي الطاهرة اسكنه الله فسيح جنانه

إلى صديقاتي و كل من ساعدني في مشواري دراسي

نوارة ، حدة ، فضيلة ، وردية ، ليندة .

وزميلتي في البحث : أسماء

نسرين

مـقـدمـة

مقدمة :

تمثل مرحلة التواجد الإسلامي في بلاد المغرب الأوسط إحدى الصفحات المشرقة في تاريخه وتاريخ الحضارة العربية الإسلامية و ذلك لما جاء به الفاتحون للمنطقة من دين و فكر جديدين للسكان و نظرا لسماحة و عدالة الإسلام ، فقد تمسك به البربر و تبعوا كل ما يحويه من أمر بالمعروف و نهى عن المنكر، فهذا الدين يحثهم على التطور و التحضر و التأدب في جميع الميادين خاصة الميدان الفكري العلمي .

فكانت النتيجة أن ظهرت مجموعة من المدن و المراكز الحضارية التي تطورت و ازدهرت و مازالت تحتفظ بكثير من معاليمها الأثرية التي تشهد على العمق الحضاري الإسلامي لها .

و بهذا فإن المغرب الأوسط يزخر بالعديد من المدن و الحواضر الثقافية التي لعبت دورا بارزا في تنشيط الحياة الفكرية و الثقافية و التي لا تختلف عن مثيلتها في المشرق الإسلامي و الغرب الإسلامي .

و من بين هذه الحواضر اخترنا حاضرة تيهرت الرستمية و بجاية الحمادية و أيضا تلمسان الزيانية و ألممنا بالدراسة كل جوانبها من الناحية التاريخية و الجغرافية و خاصة الجانب الفكري و عوامل ازدهار الحياة الثقافية فيها ، تحت عنوان :

" الحواضر العلمية بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط في القرن 2هـ -9هـ / 8م-15م"

- دراسة مقارنة -

أما عن **أسباب اختيارنا لهذا الموضوع** فقد تمثلت في اهتمامنا لدراسة الحواضر المغرب الأوسط التي ساهمت في التاريخ الحضاري الثقافي المغرب الإسلامي بصفة عامة و تاريخ المغرب الأوسط بصفة خاصة .

كما أن معظم الدراسات التاريخية جاءت متخصصة في جانب معين ، كما لاحظنا قلة وجود التأليف حول ثقافة المغرب الأوسط .

أما اقتصارنا على الحواضر التالية لا يعني الحصر عليها ، بل لأنها ارتبطت بالأثر الحضاري و الثقافي، لأن تيهرت أول عاصمة إسلامية في المغرب الأوسط مستقلة عن المشرق ، كما كانت بجاية العاصمة الثانية للحمادين بعد القلعة و هي الأخرى عرفت استقلالا عن المشرق، أما تلمسان الزيانية فكانت آخر دولة في المغرب الأوسط .

و للموضوع أهمية كبيرة لأنه يسلط الضوء على الحياة الثقافية و يبرز دورها الكبير في حضارة المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة و يتعرض لأهم العوامل المساعدة لازدهار ورقي هذه الحواضر من خلال دور الحكام و انتشار المؤسسات التعليمية و خاصة العلوم التي ظهرت على أيدي مشاهير علماء المنطقة.

و من خلال ما سبق يمكن أن **نطرح الإشكالية التالية** :

ما هو الدور الحضاري الذي لعبته حواضر المغرب الأوسط في العصر الوسيط ؟

وتفرعت عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات التالية :

- فيما تمثل دور الحكام في بناء الحياة الفكرية في هذه الحواضر ؟
- ماهي أهم المؤسسات التعليمية البارزة و أهم العلوم التي ظهرت على أيدي مشاهير العلماء ؟
- ما هو الفرق الحضاري بين هذه الحواضر (دراسة المقارنة) ؟

و لدراسة موضوعنا اعتمدنا على خطة بحث مكونة من مقدمة و أربعة فصول و خاتمة.

- **فمقدمة** تحتوي على تمهيد للموضوع ، كما أبرزنا فيه أهمية الموضوع و أسباب اختياره كما طرحنا فيه إشكالية تخدم موضوعنا بإضافة إلى خطة و دراسة نقدية للمصادر و المراجع .

- **أما الفصل الأول المعنون** بعوامل ازدهار الحياة العلمية و مظاهرها في تيهرت الرستمية وهو بمثابة قراءة شاملة عن الدول الرستمية ، من خلال إبراز مختلف العوامل المساعدة على ازدهار الحياة الثقافية فيها أربعة مباحث رئيسية و تطرقنا فيما ذكر لمحة جغرافية و تاريخية عن حاضرة تيهرت ثم دور الحكام في بناء الحياة الفكرية و الثقافية و إبراز أشهرها نبوغا في العلم و اهتماما بالمعرفة و أيضا المؤسسات التعليمية المنتشرة آنذاك و أخيرا أهم العلوم و أشهر العلماء في حاضرة تيهرت ، وهذا الفصل هو عبارة عن دراسة كاملة أي كل ما يتعلق بتيهرت من الناحية الثقافية .
- الفصل االثاني المعنون بعوامل ازدهار الحياة العلمية و مظاهرها في بجاية الحمادية و استعرضنا فيه أربعة مباحث أيضا و تطرقنا خلالها إلى لمحة جغرافية و تاريخية عن حاضرة بجاية الحمادية ثم ذكر دور الحكام في بناء الحياة الفكرية و إبراز دورهم في الإعتناء بالعلم و العلماء و كذا المؤسسات التعليمية المنتشرة و أخيرا أهم العلوم و أشهر العلماء في بجاية .
- الفصل الثالث المعنون بعوامل ازدهار الحياة العلمية و مظاهرها في تلمسان الزيانية . و تناولنا فيه أيضا أربعة مباحث و شملت لمحة جغرافية و تاريخية عن حاضرة تلمسان الزيانية ثم دور الحكام في بناء الحياة الفكرية فيها أي السلاطين العظام الأجلاء الذين أولوا اهتمامهم بالعلم و يسعوا وراء تثبيت روح العلم في نفوس الرعية و السعي وراء العلماء و إقدامهم إلى تلمسان ، ثم تطرقنا إلى المؤسسات التعليمية و انتشارها من مساجد و مدارس و مكتبات و غيرها ، و أخيرا تناولنا في هذا المبحث أهم العلوم و أشهر العلماء أي ذكر كل عالم مع العلم الذي ينتمي إليه .
- أما الفصل الرابع المعنون بدراسة مقارنة بين حواضر المغرب الأوسط و يتناول ثلاثة مباحث و تطرقنا فيها إلى دراسة مقارنة بين الفصول السابقة أي بين الحواضر الثلاث أي من خلال المقارنة بين الحكام في اهتمامهم بالحياة الفكرية و الجوانب الثقافية و من منهم اهتم أكثر من الأخر ، و تناولنا أيضا في هذا الفصل دراسة مقارنة بين المؤسسات التعليمية بين

الحواضر ، بمعنى أي من هذه الحواضر اهتمت بانتشارها أكثر من الأخرى و أخيرا دراسة مقارنة بين العلوم السائدة و أبرز العلماء في هذه الحواضر .

- و في ختام بحثنا استخلصنا مجموعة من الاستنتاجات أجبنا فيها عن الإشكالية و التساؤلات المطروحة في المقدمة و قد دعمنا بحثنا بملاحق عبارة عن خرائط لمواقع الحواضر بالإضافة إلى قائمة الحكام الحواضر أيضا و بعض الصور .

و لدراسة بحثنا **بطريقة منهجية** اعتمدنا على المنهج التاريخي العلمي القائم على الوصف و السرد ، أي وصف الأحداث و الحواضر من الناحية الجغرافية و من الناحية الثقافية و سرد الوقائع مع ذكر المعلومات الخاصة بالحكام و العلماء و أيضا المؤسسات التعليمية مع التحري بالدقة و الموضوعية قدر الإمكان و اعتمدنا أيضا على المنهج المقارن تحليل و مقارنة المعلومات الواردة في مصادر و المراجع للوصول الى النتائج المرجوة .

أما عن **الدراسات السابقة** و التي تحدثت عن موضوعنا نذكر أهمها

– دراسة لعبد العزيز فيلالي التي تضمنت دراسة شاملة في مختلف الجوانب (السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الحضارية) لحاضرة تلمسان .

– كما اعتمدنا على كتاب"الحواضر و مراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط" لعيسى بن الذيب و الذي تناول معظم المراكز الثقافية في الجزائر في فترات تاريخية مختلفة عرفت نوع من الدقة و شملية و الموضوعية و أفادنا الإطلاع عليه لرسم صورة واضحة عن بحثنا .

و في مذكرتنا تنوعت **المصادر و المراجع** التي اعتمدنا عليها فمنها ما هو خاص بالمغرب الإسلامي العام و ما هو خاص بالدولة الرستمية و الدولة الحمادية و أيضا الدولة الزيانية و من أصناف هذه الكتب ما يتعلق منها بكتب السير و التراجم و الطبقات و أيضا كتب الجغرافيا و التاريخ العام ، و منها :

أ-كتب التاريخ العام :

- كتاب :"العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر "، لعبد الرحمن ابن خلدون(ت .808 هـ/ 1406 م).

و يتكون الكتاب من سبعة أجزاء شاملا تاريخ البلاد العربية الإسلامية في المشرق و المغرب و قد أفادنا في بحثنا هذا الجزء الأول و السادس و السابع لإحتوائها معلومات عن المغرب الأوسط . بمعنى أن هذا المصدر القيم أفادنا في جميع فصول الدراسة و ابن خلدون المؤرخ الذي عاصر أيام الدولة المرينية تحدث عن الملوك و الشخصيات و القبائل و كل ما يتعلق بالتاريخ الحمادي و الزياني و غيرهما فهو موسوعة كبيرة لا يمكن الاستغناء عنها خاصة في تاريخ المغرب .

- كتاب" بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد " ليحي ابن خلدون (ت 780 هـ / 1387 م) و يتحدث هذا الكتاب عن تلمسان و المغرب الأوسط منذ الفتح الإسلامي إلى سنة 754هـ / 1353 م ، متضمنا وصف تلمسان و أصل بني عبد الواد و عن تأسيسهم للدولة متخذين من تلمسان عاصمة لهم ، كما أشار إلى ملوكهم و وصفهم بدقة و ذكر أهم أعمالهم .

- كتاب " نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان " محمد بن عبد الله التنسي (ت . 899 هـ / 1494 م) . و يتناول تاريخ دولة بني زيان في المغرب الأوسط و من مختلف النواحي خاصة الأحداث الهامة الواقعة للحكام أو السلاطين ، كما ذكر العلماء وفي كتابه جملة من القصائد الشعرية خاصة و أن التنسي عاصر الدولة و عاش في أكنافها و يتناول الأحداث الحادثة خاصة في القرن 9 هـ / 15 م .

- كتاب : " أخبار الأئمة الرستمين " لإبن الصغير (ت في القرن 3هـ) و يعتبر كتابه المصدر الأول و الوحيد لتاريخ الأسرة الرستمية ، كما أنه يعتمد على الروايات الشفوية التي

سمعها من الإباضية ، لكن معلوماته وردت بدون تاريخ في معظمها ، و قد أفادنا في الدولة الرستمية من حيث ترجمة الحكام و دورهم في بناء الحياة الفكرية .

ب- كتب السير و التراجم:

-كتاب : " عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية " لأبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني (ت . 714 هـ / 1315 م) ، ومن خلال هذا المؤلف استطعنا أن نبني صورة عن الحياة الثقافية و العلمية ببجاية الحمادية ، فهو يتحدث بشكل واضح عن العلماء و أهم العلوم التي برزوا فيها و ترجم فيه لعلماء القرن السابع هجري و يعد أحفل سجل عن هذه الحقبة التاريخية .

-كتاب : " البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان لصاحبه عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد ابن مريم و أيضا كتاب :" نيل الابتهاج بتطريز الديباج" لصاحبه أحمد بابا التمبكتي (ت . 963 هـ / 1036 م) و كذلك كتاب : " الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب " لإبن فرحون المالكي (ت .799 هـ) .

و كل هذه الكتب هي كتب التراجم و أفادتنا في معرفة المعالم الثقافية و الحضارية و ذلك من خلال تراجم العلماء و الفقهاء بحضارة تلمسان الزيانية مع ذكر اهتمام أصحاب العلم بالمعرفة .

- كتاب : " السير " للشماخي و يتناول في كتابه سيرة الرسول (ص) و أزواجه و الصحابة رضي الله عنهم إلى التابعين الصالحين و تابعي التابعي ، ليصل إلى حكام الدولة الرستمية و علمائها و أشهر قصصهم الواقعة لهم و أفادنا في تراجم الحكام و العلماء ، و بهذا فإن الشماخي هو عبارة عن موسوعة تاريخية كبيرة .

– كتاب : " طبقات مشايخ المغرب " الدرجيني (ت حوالي 670 هـ) و كتابه ترجمة للعلماء الإباضين الرستمين ، و قد أفادنا في الفصل الأول في المبحث الأخير ، أي أنه تعرض لكل عالم على حدى من حيث مولده و حياته العلمية و أهم أعماله .

ج– كتب الجغرافيا و الرحلة :

فهي متنوعة و التي كان من الضرورة الاعتماد عليها لأن التاريخ عبارة عن أحداث و حيثيات تقع ضمن رقعة جغرافية معينة ، و نذكر منها :

– كتاب : " نزهة المشتاق في اختراق الأفاق " لأبي محمد بن ادريس الحسيني المعروف بالشريف الإدريسي (ت . 547 هـ / 1159 م) و يشمل كتابه على معلومات مهمة في الجغرافيا و البقاع المعروفة في تلك الفترة ، فهو يتحدث عن عمارة المدن و الأسوار و القرى و الأمصار و أيضا عن المفاوز و الوديان و الجبال و كل ما يتعلق بالتضاريس و لم ينسى بالذكر الأجناس البشرية و القبائل و حتى التجارة و غيرها من أمور كثيرة ، فقد أفادنا في جغرافية كل حاضرة و التعريف أيضا ببعض المدن التي تعرضنا إليها فهو كتاب شامل لمن أراد الغوص في الجغرافيا.

– كتاب :" الروض المعطار في خبر الأقطار " لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ت. 900 هـ / 1459 م) و يعتبر هذا المصدر من الكتب الجغرافية المهمة التي تحدثت عن العالم الإسلامي و خاصة بلاد المغرب ، فقد أفادنا في ذكر نبذة تاريخية عن مدينة بجاية الحمادية و أيضا جغرافيتها من حيث طرقها و مفاوزها و كل ما يتعلق بما من جبال و نبات و صناعة .

– كتاب : " معجم البلدان " لياقوت الحموي (ت . 626 هـ / 1228 م) هذا المصدر الكامل العظيم في جغرافية العالم الإسلامي ، فقد تحدث عن البقاع و الأماكن و أسماء المدن و عرف أرضها و طقسها و نباتها و كل ما يتعلق بطبيعتها من تضاريس و طرق و تجارة .

د- المراجع :

لأجل التعاطي مع المعلومات المصدرية السابقة لم يكن لنا أن نغفل عن بعض المراجع المتخصصة ، فكانت كتب كل من :

- كتاب : " أبو حمو موسى الزياني " لعبد الحميد حاجيات و قد تناول فيه شخصية السلطان الحاكم أبو حمو موسى الأول و الثاني و تحدث عن حياتهما السياسية و الثقافية و أهم المواقف الواقعة في حياتهما و أيضا عن دورها في الحياة الفكرية و الحضارية في مدينة تلمسان .

- كتاب : " دولة بني حماد " لعبد الحليم عويس و كتاب : " المغرب العربي تاريخه و ثقافته " لرابح بونار و كتاب : " دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية " لإسماعيل العربي ، فكل هذه الكتب أعطتنا صورة واضحة للحياة الفكرية في بجاية الحمادية ، و ساعدتنا على فهم جوانب متعددة من حيث التاريخ و الجغرافيا و حتى دور الحكام و العلماء و العلوم .

- كتاب : جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع هجري (15م) لصاحبه محمود بوعياد و فيه عرج على العلوم المنتشرة بالمغرب الأوسط ، فأورد أهم العوامل التي ساعدت على ازدهارها ، كما ذكر أهم العلماء الذين برزوا خلال الفترة الزيانية .

- كتاب : " تاريخ المغرب الكبير " لمحمد علي دبوز كان لهذا الكتاب أهمية قصيرة في موضوعنا لما قدمه من معلومات عن حكام الإباضية بتيهرت الرستمية و تعرض إلى أشهر العلوم و العلماء آنذاك و بهذا فهو بعيد من المراجع الهامة التي يجب الرجوع إليها عند الخوض في فهم المصادر و شرحها .

هذا إضافة إلى مجموعة من المقالات ذات الصلة بالموضوع و المنشورة في كل من مجلة الأصالة ، كان التاريخية و التراث .

و في الختام نعترف أن ماجاء في هذه المذكرة ماهو إلى محاولة منا لإبراز التاريخ الحضاري و الثقافي لبلاد المغرب الأوسط ، لكن هذا لا يجعلنا أن ننسى العراقيل و الصعوبات التي إعترضتنا خلال فترة البحث التي من بينها قلة المراجع و المصادر ، و لكن كل هذا إنتهى مع توجيهات الأستاذ المشرف الذي نتقدم له بجزيل الشكر و العرفان .

الفصل الأول

تمهيد :

نشأت الدولة الرستمية في المغرب الأوسط على يد الإمام عبد الرحمن بن رستم (160هـ)

اشتهرت هذه الدولة بعدالة أئمتها ، و صلاحهم و تقواهم و علمهم ، و بازدهارها ، و قد كان يعيش تحت ظلها أتباع كل المذاهب الإسلامية ، و كانوا يمارسون تعاليمهم بكل حرية و أمان و كانت لهم مساجدهم و بيوتهم الخاصة التي ينشرون العلم فيها من غير تفريق بين مذهب و مذهب ، هذا التسامح و التفتح الفكري ساهم ببروز علماء كان لهم دور كبير في ازدهار الحياة العلمية فيها.

المبحث الأول :لمحة جغرافية و تاريخية عن تيهرت الرستمية:

أ-جغرافية تيهرت :

تعد منطقة تيهرت من المناطق التي حضيت بالدراسات الجغرافية ، على غرار باقي مناطق المغرب الأوسط . و هذا راجع لموقعها الإستراتيجي و دورها الحضاري الجديد .

جاء على لسان المؤرخين العرب و في معظم كتب الجغرافيا و الرحلة كلمة تيهرت كما وردت تاهرت بين الحين والآخر، واللفظتان زناتيتان بمعنى اللبؤة [1] ، وعن ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان بأن تيهرت : "بفتح الهاء و سكون الراء والتاء فوقها نقطتان و هي اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب ، يقال لإحداهما تاهرت القديمة و الأخرى تاهرت المحدثة بينهما و بين المسيلة ستة مراحل"[2]، و جميع المفاهيم نفسها في الكتب الأخرى ، فقد ذكرها الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق و يقول بأن : " القديمة من هاتين المدينتين ذات سور وهي على قمة جبل قليل العلو"[3] ، و أيضا في كتاب الاستبصار وردت تيهرت بأنها مدينة مشهورة قديمة كبيرة عليها سور صخر"[4] ، ومما سبق فإن مدينة تيهرت مدينة عظيمة كبيرة كانت لها مكانة في المغرب الأوسط و ساهمت في تفعيل الحركة العلمية و التجارية و تداولت عليها الأجناس و نمت بها الدول و خاصة الدولة الرستمية التي شهدت ازدهارا لا مثيل له في بقاع المغرب الإسلامي بحيث كانت تسمى قديما عراق المغرب[5].

---

[1] محمد رمضان شاوش : **الدر الوقاد** ، المطبعة العلوية ، مستغانم ، ط1،1966، ص18.

[2] شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي : **معجم البلدان** ، دار صادر، بيروت ،1977 ، مج ، ص7.

[3] الإدريسي : **المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق** ، تحقيق محمد حاج صادق بلجيكا ،1983، ص110.

[4] مجهول : **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر و تعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق ، ص 178 .

[5] ياقوت الحموي:المصدر السابق، ج2، ص8.

و قيل أن كورت تيهرت من إفريقية و هي غربي سطيف كانت قاعدة المغرب الأوسط و كان بها مقام بني رستم حتى انقضت دولتهم بدولة الخلفاء الفاطميين[1] .

و مدينة تيهرت مدينة محصنة جدا و هذا لطبيعة بيئتها و تضاريسها و هي صعبة المنال أو الدخول إليها و بلوغ الأعداد إليها حتى قال أبو عبيد عنها مدينة تاهرت مدينة مسورة لها أربعة أبواب : باب الصفا و باب المنازل و باب الأندلس و باب المطاحن [2] .

أما عن بناء مدينة تيهرت القديمة فان الزهري يذكر بأنها من بنيان العمالقة و قد وجدت في زماننا هذا أثارهم [3] .

لنمر على اقتصادها و أحوال أرضها و وفرة نباتها و جريان أنهارها ، و للحديث فإن جميع المصادر الجغرافية تذكر تيهرت و حالتها فقد أصبحت في أمد قصير مدينة عامرة تجارتها زاهرة و قومها مياسرة . و هذا راجع لعدة عوامل و منها البيئة الجيدة و حسن سيرة أئمتها و وفرة العاملين فيها ، و هي أيضا مقصد الرحلات و الهجرات .

اتفق كل من ابن حوقل و ياقوت الحموي و غيرهم بأن تيهرت مدينة كبيرة خصبة و كان لها بساتين كثيرة فيها جميع الثمار و فيها سفرجل يفوق سفرجل جميع البلاد حسنا و طعما و رائحة [4] و يسمى الفارس [5] .

---

[1] عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر أبي الفدا : **تقويم البلدان** ،تصحيح رينود و ماك كوكين ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1830 ص139.

[2] ياقوت الحموي : المصدر السابق، ص8.

[3] أبي عبد محمد بن أبي بكر الزهري : **كتاب الجغرافية** ، تحقيق محمد الحاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية (د ت) ، ص113.

[4] مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص178.

[5] أبي عبيد الله بن العزيز البكري: **المسالك و الممالك** ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ص67.

أما عن أحوال تيهرت و بردها فإن الجغرافيين أطنبوا في ذكرهم عن ذلك و قالوا بأنها بلد شديد البرد و الثلج ، حتى أن الشمس بها قل ما ترى ، و للإشارة فان الشعراء و الكتاب كتبوا عن بردها بأبيات شعرية جل المصادر تذكرها و خاصة عن قصة الأعرابي الذي تأذى من شدة بردها [1] .

و يقول الشاعر أبو بكر ابن حماد يصف برد تيهرت :

مَا أصْعبَ البردَ و ريعتهُ وأَظْرفَ الشمس بتاهرتْ[2] .

هذه هي جغرافية تيهرت بلد و مقام الرستميين عروس تلك الأقطار و فخر تلك الديار قاعدة المغرب الأوسط [3].

[1] القزويني : **أثار البلاد و أخبار العباد** ، دار صادر ، بيروت، ص196.

[2] ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ص8 .

[3] انظر الملحق رقم 4 ، خريطة الدولة الرستمية .

ب – لمحة تاريخية عن مدينة تيهرت :

إن الحديث عن مدينة تيهرت الرستمية عادة ما ترتبط بالحركة الخارجية[1] التي ظهرت ببلاد المغرب ، التي لعبت دورا بارزا في تاريخها حتى منتصف القرن الرابع هجري[2] في أحوالها السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية ، فباعتناق المغاربة لمذهب الخوارج رفعوا علم العصيان و الاستقلال على الأمويين و العباسيين مكانت النتيجة الحتمية لهذه النزعة إقامة إمارات مستقلة ببلاد المغرب منها إمارة بني رستم .

بعد عودة حملة العلم الخمسة إلى المغرب [3]، عقدت جميع الإباضية[4] لأبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري بالإمامة سنة 140هـ/757م . و نظرا لوجود اضطرابات بطرابلس ، فقد توجه أبو الخطاب إلى هناك لإخماد ثورة إحدى القبائل البربرية بتلك المنطقة

---

[1] الخوارج : يطلق لفظ الخوارج في التاريخ على الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في موقعة صفين (35هـ)التي جرت بينه و بين معاوية بن أبي سفيان ،بعد قبول التحكيم بين الطرفين من هنا انبثقت هذه الفرقة التي نادت "بلا حكم إلا الله" انقسمت هذه الفرقة على نفسها إلى عدة فرق (الشهرستاني أبي الفتح : **الملل و النحل** ، تحقيق أمير علي مهنا و علي حسن فاعور ، دار المعرفة بيروت ، ط2،1993، ج1، ص132) .

[2] محمود إسماعيل عبد الرزاق : **الخوارج في بلاد المغرب** ، دار الثقافة ، المغرب، ب ، ط2، ص5.

[3] حملة العلم الخمسة : هي البعثة التي أرسلت من المغرب إلى البصرة لتلقي تعاليم المذهب الاباضي على يد إمامها أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة و تتكون تلك البعثة من عبد الرحمن بن رستم عاصم السدراتي أبي داود القبلي النفزاوي إسماعيل بن درار الغدامسي تكوّنوا لمدة خمس سنوات (عبد الواحد الشماخي : **السير**، تحقيق أحمد بن مسعود السياحي ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، الجزائر،1992 ، ج1، ص113).

[4] الاباضية فرقة من الفرق الإسلامية يرجع بروزها إلى نصف الثاني من القرن الهجري تنسب إلى عبد الله ابن اباض إلا أن إمامها الحقيقي جابر ابن زيد الأزدي . اشتهرت الاباضية ضمن فرقة الخوارج إلا أنها انشقت عنها فبرزت مستقلة عنها اتسمت باعتدال(الشماخي: نفسه ، ص77) .

واستخلفه في منصبه بالقيروان القاضي عبد الرحمان بن رستم بعد تمكن محمد بن الأشعث الخزاعي صاحب مصر من دخول القيروان والقضاء على أبي الخطاب سنة 144هـ/761م[1].

وعلى إثر هذه الهزيمة ، فرّ عبد الرحمان بن رستم من القيروان إلى الغرب، واجتمعت إليه طوائف البربر الإباضية من لماية و لواتة و رجالة و نفزاوة فنزل بها [2] .

يذكر ابن عذاري أنهم عزموا على بنيان مدينة تجمعهم فنزلوا تيهرت يصف موقعها ابن عذاري على أنها غيضة بين ثلاثة أنهار، هذا ما اكتفى به إبن عذاري عكس ما ذكره الدرجيني على أن تاهرت كانت فيها السباع وعندما باشروا بنائها " أمروا مناديا ينادي بسباعها ووحوشها و هوامها أن أخرجوا فإنا أردنا عمارة هذه الأرض" [3] و بعد ثلاثة أيام رأوا وحوشها تحمل أولادها خارجة منها، فعزموا على إنشائها، فبدأوا يختطون تاهرت و هي على بعد خمسة أميال من تاهرت القديمة [4] .

أما عن تاريخ بنائها فيختلف المؤرخون في ذلك ، فإبن عذاري يجعل تأسيسها سنة 161هـ ، في قوله " واختط الناس مساكنهم و ذلك سنة 161هـ " [5].غير أنّ ابن خلدون يجعل تأسيسها سنة 144هـ [6] . إلا أنّ جلّ المؤرخين يرجحون رواية ابن عذاري و هي أنّ بناء

---

[1] ابن عذارى المراكشي : **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، تحقيق ج س كولان و ليفي بروفنسال ، دار الثقافة، بيروت ، ط3،1983 ،ج1 ، ص196.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون: **ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** ، دار الفكر، بيروت ، ج6 ،2000.

[3] أحمد سعيد الدرجيني : **طبقات مشائخ المغرب** ، تحقيق إبراهيم طلاي ،ج1 ، ص41.

[4] أبي زكريا يحي بن أبي بكر : **سير الأئمة و أخبارهم**، تحقيق و تعليق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية الجزائر،1979، ص53.

[5] ابن عذاري: نفسه ، ج1 ، ص196.

[6] ابن خلدون: نفسه ، ج6 ، ص147.

تاهرت كان في سنة 161هـ/777م لأنّها تتفق مع سير الأحداث عكس التاريخ الذي حدّده ابن خلدون سنة 144هـ .

أما اختيار موقع تاهرت فهو وليد الظروف التي واجهت الدولة الرستمية في مطلع تأسيسها . فكان لموقعها مميزات تمثلت في أنّها بعيدة عن خطر العباسيين ، باعتبارها تقع في منطقة داخلية ، و كذلك من مميزات موقعها أنها محاطة بقبائل ينتمون للمذهب الإباضي هذا ما يجعلها في مأمن من هجمات المخالفين، فبالإضافة إلى موقعها الإستراتيجي يتميّز موقعها بغنى اقتصادي تتمتع به المنطقة الذي تحدّث عنه الجغرافيون من قبل ما يميز موقع تاهرت أيضا بأنّ مكانها يتوسط التّل و الصحراء هذا ما أضاف إليها مكانة هامة باعتبارها تعدّ نموذجا للحياة التجارية القوية في بلاد المغرب [1] .

هذا الحرص الذّي اعتمده الإمام عبد الرحمان في اختيار موقع استراتيجي لبناء عاصمة ملكه كان من أسباب البقاء اقتصاديا وسياسيا و عسكريا .

كان تخطيط مدينة تيهرت على طريقة البناء الذي أعتمد في بناء المدن الإسلامية الكبرى كالقيروان و غيرها . فقد شرع الإباضيون في تشييد مبانيهم بدءا من المسجد الجامع "فبنوا مسجدا من أربع بلاطات " [2] و حول المسجد الجامع اختط الناس مساكنهم فانتشرت الدور و القصور و البيوت و الأسواق و أحاطوا المدينة بعد ذلك بسور محكم [3] .

ظلت تيهرت عاصمة للدولة الرستمية إلى غاية سقوطها الذي لم يكن حدثا بقدر ما كان نتيجة حتمية لما وصلت إليه الأمور من تدهور و انحطاط .فقد كان الحماس للمذهب الذي كان على عهد جدّهم عبد الرحمان قد ضعف و انحرفوا على مبادئ المذهب ، و قد كان

---

[1] محمد عيسى الحريري: **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي**، دار القلم، الكويت ، ط3،1987، ص97.

[2] ابن عذاري : المصدر السابق ، ج1 ، ص196.

[3] مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص178.

للحروب التي وقعت بين الرستميين أنفسهم إلى انقسامهم و انقسام المجتمع ، و إلى زيادة تدهور أوضاع تاهرت فأخذ عمرانها في التراجع " حتى فسدت و فسد أهلها في تلك الحروب ".

و نظرا لهذه الاضطرابات أوجدوا فرصة ملائمة للقوى الخارجية الممثلة في " عبد الله الشيعي " لأن يضع حدّا للدولة الرستمية سنة 296 هـ[1] .

[1] جودت عبد الكريم يوسف : **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية** ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 ، ص31.

المبحث الثاني: دور الأئمة الرستميين في الحياة الفكرية

كانت الدولة الرستمية دولة العلم و المعرفة تحب العلم و تجله، لما أدرك الأئمة الرستميين أن الحفاظ على الشريعة الإسلامية و ترسيخ المبادئ الاباضية في أذهان الناس أقوى من السيطرة عليهم بالقوة[1] .

و بهذا حظيت تيهرت بنصيب كبير في الحياة الفكرية بالمغرب الأوسط خاصة و المغرب الإسلامي عامة ، بحيث تعتبر من أهم المراكز الثقافية الهامة فضلا عن اعتبارها مقصد و بيت للعلماء، بالإضافة إلى اهتمام الأئمة الذين كرسوا حياتهم للعلوم و نشرها فكانوا من فحول العلماء و المفكرين ،حيث شاركوا في رقي الحركة العلمية و ذلك بتشجيع الناس و حثهم على طلب العلم ، فقد أغدقوا على العلماء من بيت المال ما يكفيهم من أجل الرحلة العلمية و شراء الكتب [2] .

و أيضا أقاموا المجالس و الحلقات العلمية بالمساجد و غيرها يلقنون فيها الدروس خصوصا العلوم الشرعية[3] ، و هذا ما كان متداول من العلوم آنذاك و ذلك من أجل تثبيت الإسلام و ترسيخ الدين و السنة بين أرجاء البربر و تعريب لسانهم باللغة العربية .

فقد ذكر أبي زكريا في كتابه سير الأئمة و أخبارهم و نقلها عنه الشماخي :"كان البيت الرستمي بيت علم في فنونه من الأصول و الفقه و التفسير و علم اختلاف الناس و علم النحو

---

[1] محمد علي دبوز : **تاريخ المغرب الكبير**، مؤسسة تاوالت الثقافية ،2010 ، ص329.

[2] عوض الشرقاوي : **التاريخ السياسي و الحضاري بجبل نفوسة** ، مؤسسة تاوالت الثقافية ،2011 ص143.

[3] محمد علي دبوز: نفسه ، ص330.

الإعراب و الفصاحة و علم النجوم"[1] . و جاء في كتاب الشماخي أن بعضهم قال :"معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعلم منزلة يبيت فيها القمر" [2] .

و بهذا أضحت تيهرت من المراكز الثقافية الكبرى في بلاد المغرب الإسلامي ، و دار للعلم و مقر للعلماء .

و للحديث عن دور الأئمة الرستميين في بناء الحياة الفكرية ،فقد نبغ كلهم و كانوا كلهم علماء فحول ، بل و كانت من شروط الإمامة و رئاسة الدولة العلم [3]، و حتى لم يكتفوا بإثراء الحياة الفكرية بتيهرت فقط بل حتى في المدن التابعة للدولة الرستمة و من أهمها جبل نفوسة[4].

و لقد كان الإمام عبد الرحمان بن رستم[5] "160هـ -171هـ" من كبار العلماء في عصره و كان يقضي أوقات فراغه و هو رئيس الدولة في الدرس و التدريس و التأليف[6] و أبي زكريا يذكر بتفصيل إمامة عبد الرحمان بن رستم الذي ولي تاهرت سنة ستين و مئة و أنه اختار موقع مدينته لتكون حرزا و حصنا للإسلام [7] . و لما ولي عبد الرحمن ما ولي من أمور الناس شمر مئزره و أحسن سيرته و جلس في مسجده للأرملة و الضعيف و لا يخاف في الله

---

[1] أبي زكريا : المصدر السابق ، ص65.

[2] الشماخي : المصدر السابق ، ص125.

[3] محمد علي دبوز: المرجع السابق ، ص332.

[4] جبل نفوسة : يقع جبل نفوسة في إقليم طرابلس سمي بهذا الاسم نسبة إلى قبيلة نفوسة البربرية وهي من أكبر القبائل البربرية البترية(ابن خلدون:المصدر السابق ، ج6، ص135، عوض الشرقاوي:المرجع السابق ، ص21).

[5] عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن سام بن كسرى الملك الفارسي ، و واحد من حملة العلم الخمسة ، بويع بالإمامة عام ستين و مائة بتيهرت فهو مؤسس الدولة الرستمية(إبن الصغير : **أخبار الأئمة الرستميين** ،تحقيق و تعليق محمد ناصر و إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1986 ، ص29).

[6] محمد علي دبوز: نفسه ، ص332.

[7] أبي زكريا : نفسه ، ص53.

لومة لائم " فطار خبره في أطراف الأرض حتى قال بعضهم أنه قد ظهر بالمغرب إمام ملأه عدلا و سوف يملك المشرق و يملأه عدلا [1] و لقد تمت مبايعته على الإمامة بكتاب الله و سنة رسوله و أثار الخلفاء الراشدين المهتدين.

عبد الرحمن أحسن السيرة في إمامته و لم ينقم عليه أحد في حكومة ولا في خصومة و لم يكن على يديه افتراق الإباضية يومئذ ، كلها مجتمعة و مؤتلفة و لم يثر منها ثائر[2] .

كان الإمام عبد الرحمن عالم فقيه جليل ، و كل المصادر التاريخية تذكر قصة أهل الشام الذين بعثوا وفودا محملة بأكياس من المال إلى إمام تيهرت فوجدوه فوق دار يطينها فرحب بهم و قبل المال ووزعه على المحتاجين في حضرة الرسل و مرة أخرى بعث أهل الشام المال إلى عبد الرحمن إلا أنه رده إلى أربابها فهم أحوج إليها [3] .

هذا دليل على زهده في الدنيا و رغبته في الآخرة ، و قد اهتم هذا الإمام الورع التقي بشؤون العلماء فيذكر أنه ألف كتابا في تفسير القرآن [4] وهذا يدل على اهتمامه بالعلم و المعرفة خاصة العلوم الشرعية ، كما كانت له حلقة في المسجد و يتولى التدريس بنفسه [5] و الملاحظ أن الحياة السياسية و أيضا الوقت الذي تطلب بناء مدينة تيهرت لم تؤثر على الحياة الفكرية الثقافية و جعلت من تيهرت قاعدة أو مركز تستقبل العلماء من مختلف أصقاع الأرض.

---

[1] ابن الصغير : المصدر السابق ، ص32 .

[2] أبي زكريا: المصدر السابق ، ص54 .

[3] الشماخي: المصدر السابق، ص125- 126 ؛ أبي زكريا: نفسه ، ص54 ؛ ابن الصغير: نفسه ص39-40 .

[4] بن الذيب عيسى: **الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط** ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث ، الجزائر،2007 ، ص34 .

[5] محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ص332 .

و خلاصة القول حول عبد الرحمن بن رستم أن عهده عرف ازدهار علمي و لا تزل الأمور كذلك و الكلمة واحدة و الدعوة مجتمعة ولا خارج يخرج عليه و لاطا عن يطعن عليه إلى أن وفته المنية و انقضت أيام مدته[1] ، ليتولى من بعده حكم الدولة الرستمية ابنه عبد الوهاب (171هـ-208هـ)[2] الذي عرف بالعلم و المعرفة و لم يختلف عن بيعته أحد و لم ينقم عليه أحد في أمر حكومة و لا في خصومة حتى نجم ابن فندين [3]و أصحابه [4] .

و كان الإمام عبد الوهاب محمود الأفعال[5] و بلغنا أنه كان مدرسا و معلما لإخوته حيث كان يعلمهم مسائل الفرائض[6] و بهذا كان من العلماء الراسخين و كذا سائر أهل بيته ، و أما عن المراكز التابعة بتيهرت فإن عبد الوهاب أولى اهتماما بها و ركز على نشر العلم فيها و منها جبل نفوسة الذي قضى بها سبعة أعوام يلقن فيها أهلها مسائل الصلاة حتى أنه كتب كتابا معروف "بمسائل نفوسة الجبل "لأن نفوسة كتبت إليه في مسائل أشكلت عليها فأجابها عن كل مسألة [7] .

---

[1] ابن الصغير : المصدر السابق ، ص42.

[2] عبد الوهاب بن عبد الرحمن(171هـ-208هـ): ثاني الأئمة الرستميين و واحد من العلماء العارفين بعلوم الدين و الدنيا(أبي زكريا:المصدر السابق، ص56 ؛ الشماخي: المصدر السابق، ص167؛ ابن الصغير: نفسه ، ص43).

[3] يزيد بن فندين أبو قدامة النكاري : و سموا بهذا الاسم لأنهم أنكروا إمامة عبد الوهاب و ثاروا ضده (ابن الصغير: نفسه ، ص143؛ الشماخي : نفسه، ص132-133).

[4] أبي زكريا : نفسه ، ص65.

[5] ابن الصغير: نفسه ، ص42.

[6] أبي زكريا : نفسه ، ص65.

[7] ابن الصغير : نفسه ، ص45.

و هذا الكتاب حسب الأستاذ محمد علي دبوز يدل على فصاحة الإمام و تمكنه من اللغة العربية و غزارة علمه و أبواب كتابه تدل على عمق فهمه و سعة الباع في العلوم الدينية [1] .

كما أن دور تربيته الذي تربى في كنف والده العالم عبد الرحمن لعبت دورها في إنشاءه فقد أخذ عنه حميد الخصال و جميل الأخلاق و تعلم العلوم و اللغة على يديه ،فكان عالما يتقن اللغة العربية و الفارسية و حتى البربرية [2] .

كما كانت له صلة دائمة مع العلماء الإباضيين بالمشرق الإسلامي حتى أنه أسس في تيهرت مكتبة مهمة تحوي نسخا من كتب المؤلفين [3] ، و يذكر أبو زكريا و الشماخي أن عبد الوهاب أرسل ألف دينار إلى المشرق إلى أخوته بالبصرة أن يشتروا له بها الكتب فلما وصلهم الألف اشتروا بها رقا فنسخوا له فيها أربعين حملا من الكتب[4] .

و لما بلغته تشمر و جد لقراءتها ليلا و بعض أوقات النهار و قيل أنه تجرد من ثيابه إلا السراويل فختمها و قال :الحمد لله إذ وجدت جميع ما فيها محفوظا عندي و لم استفد منها إلا مسألتين و لو سئلت عنهما أجبت فيهما قياسا ، وهذا من كثرة علمه و قوة فهمه و نقاء قريحته و تهيئ نفسه لاكتساب العلوم[5].

والجدير بالذكر أن في عهده حدث افتراق الإباضية و ظهرت ثورة الواصلية ، و لما رأى فيهم كثرة عددهم و عدتهم أرسل إلى جبل نفوسة و إلى عامله بها أن يمده بجيش يتضمن

---

[1] محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ص332.

[2] جودت عبد الكريم يوسف ، المرجع السابق ، ص64.

[3] تاديوس ليفيسكي : **المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية** ، ترجمة ماهر و ريما جرار ، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت ،2000 ، ص40.

[4] أبي زكريا : المصدر السابق ، ص65.

[5] الشماخي : المصدر السابق ، ص142.

شجعانا و فرسانا عارفين بأبواب الحرب و مبارزة الأبطال و علماء بفنون التفسير و الرد على المخالفين و الحلال و الحرام[1] و هذا ما يدل على حكمته و قدرته على إستعاب المواقف و أصعبها.

خلاصة القول حول العالم الفقيه الجليل الإمام عبد الوهاب أن عهده و طول فترة حكمه كان عادل بين الرعية و استطاع توحيد المسلمين في إقليم تيهرت الرستمية و جعل منها ملجأ للعلماء و دار لطلب العلم و المعرفة.

ليتولى من بعده ابنه أفلح (208هـ،258هـ)[2] الإمام التقي إبن عبد الوهاب الذي تمسك بالحجة البيضاء و الصراط الأفيح ، بويع في اليوم الذي مات فيه والده [3]، فهو عالم بارز ذا معرفة شبه شاملة حتى أنه برز بين سائر الرستميين الذين كرسوا أنفسهم جميعا لدراسة العلوم و كان يجد متعة في إدارة النشاطات العلمية بنفسه [4] ، و قد اشتهر بالعدل و الشجاعة و قوة الساعد و عرف بشغفه بالعلم و المداولة فيه و مجالسة العلماء[5].

كما أنه بلغ في علم الغبار و النجامة مبلغا عظيما و قعد ليلة مع أخته يتذاكران ، كما طالت دولته في العدل و السكون [6]، و يذكر الأستاذ محمد علي دبوز أن الإمام أفلح كان من الأدباء فصحاء و الذي ترك لنا شعرا و نثرا يدل على علو كعبه في الأدب و على درجته الرفيعة في العلم و ذكر قصيدة يحث فيها طلبة و يشجعهم على العلم

---

[1] الشماخي : المصدر السابق ، ص137.

[2] أفلح بن عبد الوهاب(208هـ-258هـ) :ثالث الأئمة الرستميين و هو الإمام التقي العدل العالم الأنجح أمير المؤمنين ،بويع في اليوم الذي مات فيه أبوه (نفسه : ص166؛ ابن الصغير: المصدر السابق، ص57 أبي زكريا : المصدر السابق ، ص89).

[3] الشماخي: نفسه ، ص166.

[4] تاديوس ليفيسكي: المرجع السابق ، ص142.

[5] أبي زكريا : نفسه ، ص89.

[6] الشماخي : نفسه ، ص167.

فقال: العلْمُ أبقَى لأَهْلِ العلم أثارا يريك أشخاصهم روحا و أبكارا

حيٌ و إنْ مَاتَ ذُو علم و ذو ورع ما مَات عبد قضَى من ذاكَ أوطارا[1] .

يذكر ابن الصغير أن الإمام أفلح قد عمر في إماراته ما لم يعمر أحد ممن كان قبله فأقام خمسين عاما أميرا حتى نشأ له البنون و بنوا البنين و شمخ في ملكه و ابتنى القصور و اتخذ بابا من حديد و بنى الجفان و أطعم فيها أيام الجفان . و عمرت معه الدنيا و كثرت الأموال و المستغلات و أتته الرفاق و الوفود من كل الأمصار و الأفاق بأنواع التجارات [2] .

و هذا يدل على ازدهار دولته و رقيها حتى كانت لها مكانة تخصها في المغرب الإسلامي و للإشارة فإن الإمام أفلح يحتمل أن تكون لثروته الطائلة و اشتغاله بالتنجيم في كسب بعض الناس إلى صفه [3] .

و جاء على لسان أبي زكرياء أن الإمام أفلح قعد في إمامته ستين سنة واليا إماما حسن السيرة رؤوفا بالرعية لا يخاف في الله لومة لائم ،و ظل على سيرته إلى أن توفي [4] .

ليتولى من بعده ابنه أبي بكر[5] إلاً أن المصادر التاريخية لم تذكره غير أن ابن الصغير يقول عنه أنه كان سمحا جوادا و يحب الآداب و الأشعار و أخبار الماضين[6] ، إلا أنه لم

---

[1] محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ص 235.

[2] ابن الصغير: المصدر السابق، ص 61.

[3] جودت عبد الكريم يوسف : المرجع السابق ، ص 64.

[4] أبي زكريا : المصدر السابق، ص 96.

[5] أبو بكر بن أفلح(258هـ-261هـ) : رابع الأئمة الرستميين أهملته المصادر و السبب في ذلك فتنة ابن عرفة و التي يذكرها بالتفصيل ابن الصغير(ابن الصغير: نفسه ، ص 70).

[6] نفسه ، ص 61.

يستمر في الحكم ليتولى من بعده أخاه أبو اليقظان (261هـ ، 281هـ)[1] هو الإمام الرستمي الخامس ، و يذكر الشماخي أن الكلمة اجتمعت بعد اختلافها على محمد بن أفلح لعلمه و ورعه و كان أول شيء نظر فيه هو تعديل المناصب لأصحابها و مستحقيها ، و عمرت المساجد و كانت خلافته نحو أربعين و عمره نحو المائة[2] .

و جاء على لسان الأستاذ جودت عبد الكريم أن الإمام أبا اليقظان نشأ متواضعا ورعا زاهدا منكبا على علوم الدين و تأليف الكتب و كانت له عدة رسائل موجهة للمسلمين يحثهم على عمل الخير و يذكرهم باليوم الآخر و هذا يدل على ورعه و تقواه [3] .

و يذكر أبي زكرياء أن محمد بن أفلح اجتمع المسلمون فولوه على أنفسهم و لم يكن منهم في توليته اختلاف و بلغ في العدل و الفضل غاية عظيمة و كانت نفوسة لا تعدل بولايته إلا ولاية جده عبد الرحمن و كانت أيضا تجعل باب داره كالمسجد يسهرون حوله طائفة يقرؤون و طائفة يصلون و طائفة يتحدثون في فنون العلم و كان حسن السيرة أورع من في زمانه و له في الرد على المخالفين كتب كثيرة ، و بلغ في العلم مبلغا عظيما و ألف كتبا كثيرة و وضع في الاستطاعة أربعين كتابا[4] .

---

[1] أبو اليقظان محمد بن أفلح(261هـ-281هـ):هو الإمام الرستمي الخامس ،عاد من المشرق قاصد البيت الحرام و لكنه سجن على يد العباسيين، و لأن سيرته الحسنة و عدله كان الناس يعدلون ولايته بولاية جده عبد الرحمن(ابن الصغير : المصدر السابق، ص 64 ؛ الشماخي : المصدر السابق، ص 189).

[2] الشماخي: نفسه ، ص 189.

[3] جودت عبد الكريم يوسف : المرجع السابق ، ص 64.

[4] أبي زكريا: المصدر السابق ، ص98-99.

أما ابن الصغير فيذكر أيضا أن الإمام أبي اليقظان كان زاهد ورعا ناسكا و كان إذ يجلس في المسجد يأمر الناس بالجلوس و لم ينطق أحد من بين يديه . و لم مات فكل شيء وجد له من العين في تركته سبعة عشر دينارا فقط [1] .

و خلاصة القول حول الإمام الورع التقي أبي اليقظان محمد بن أفلح العالم الجليل ، فقد اهتم بشؤون الرعية عامة و بالعلماء خاصة . كما أن له عدة تأليف و كتب هامة .

ليتولى من بعده الإمامة ابنه أبي حاتم يوسف(281هـ ، 294هـ)[2] و هو الإمام السادس للدولة الرستمية . و قال عنه الشماخي أنه الإمام الماهر و البحر الزاخر العالم الذاكر[3] ، اجتمعت الناس حوله و بايعوه دون مشاورة أحد من القبائل ، إلى أن حدثت فتنة عظيمة في أيامه الست في انعزاله ليتولى من بعده أخاه يعقوب بن أفلح[4] و هذا الأخير ظل في حرب مع أخاه أبو حاتم حول الحكم [5] .

و للإشارة فإن يعقوب بن أفلح كان بعيد الهمة نزيه النفس ما حبس بيده دينار و لا درهما [6] ، و هذا ما يدل على نزاهته و ورعه .

---

[1] ابن الصغير : المصدر السابق ، ص 92-102.

[2] أبي حاتم يوسف بن أبي اليقظان(281هـ-294هـ) : هو الإمام الرستمي السادس و هو الإمام الماهر و البحر الزاخر العالم الذاكر، تولى الإمامة بعد وفاة والده و مكث في الخلافة أربعة عشر سنة(ابن الصغير:نفسه ، ص 104 ؛ الشماخي : المصدر السابق ، ص 223 ؛ أبي زكريا : المصدر السابق ص101-104).

[3] الشماخي : نفسه، ص 223.

[4] الإباضية لا يعتبرون يعقوب بن أفلح من الأئمة الرستميين و إنما يعتبرون الدولة الرستمية و إمامتها انقطعت بموت الإمام أبي حاتم يوسف سنة 294هـ(ابن الصغير: نفسه، ص 111).

[5] نفسه ، ص 105-116.

[6] نفسه ، ص 112.

إلا أنه حكم أربعة سنوات ثم يعود أبو حاتم و يدخل تيهرت و الشيء الأول الذي قام به هو تعديل المناصب فلم ينقم الناس عليه فكانت أيامه تشهد تعمير المساجد و الجوامع و امتلأت بالفقهاء [1] فقد كان عهده عهد رقي و ازدهار [2].

[1] ابن الصغير: المصدر السابق، ص 117.

[2] أنظر ملحق رقم 1 ، حكام الدولة الرستمية .

المبحث الثالث: المراكز التعليمية

كان للمؤسسات التعليمية دور فعال في النشاط الثقافي بالمغرب الأوسط في العهد الرستمي ، حيث حظيت هذه المؤسسات برعاية الأئمة الرستميين من خلال بناء المساجد و المكتبات ، و جلب العلماء للتدريس بها ، و عقد حلقات و مجالس علمية .

1-المساجد:

لعب المسجد دورا كبيرا في تنشيط الحركة الثقافية في تاهرت ، حيث يعد مركزا هاما في تفعيل النشاط العلمي و تلقي مختلف العلوم ،لذا حرص الرستميون على الحفاظ عليه كونه ذو مكانة عالية في نفوس المسلمين .

يرتبط تاريخ التربية الإسلامية بالمسجد ارتباطا وثيقا فقد كانت تعقد فيها حلقات العلم و تميزت الدراسات التي تلقى بالمساجد بالدراسات الدينية لشرح تعاليم الدين الجديد [1] .

لقد شغف الأئمة الرستميين بالعلم فاهتموا به ، و من هنا جاء حرصهم على إنشاء المؤسسات العلمية تشجيعا منهم للعلم و العلماء .

فقد اهتم الإمام عبد الرحمن بعمارة الدولة الرستمية حتى تكون قادرة على العطاء العلمي و تؤدي دورها الحضاري كغيرها من الحواضر العلمية في العالم الإسلامي ، و كما هو معلوم فإن المسجد في ذلك الوقت يعتبر هو الجامعة التي تخرج العلماء ، فلم يغفل الإمام عبد الرحمن على أهمية المسجد و دوره الفعال في النهضة العلمية ، فكان المسجد أول ما بناه في دولته ثم أخذ في تعمير تيهرت [2] و كان يقيم فيه حلقة للعلم يتولى التدريس فيها بنفسه [3]

---

[1] عبد الله عبد الدائم : **التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين** ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1،1973 ، ص153-154.

[2] الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 41 ؛ الشماخي : المصدر السابق ، ص 125.

[3] محمد علي دبوز: المرجع السابق ، ص 372.

ما عرف عن الدولة الرستمية الحرية الفكرية و الدينية ، فلم يقمع المخالفين للمذهب الإباضي فكانت لهم بيوتهم و مساجدهم الخاصة التي يعرفون بها ، حيث قال في ذلك إبن الصغير " (...) و أتتهم الوفود و الرفاق من كل الأمصار و الأقطار ، فقال : ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم و ابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد و حسن سيرة إمامهم و عدله في رعيته و أمانة على نفسه و ماله ، حتى لا ترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي و هذه لفلان البصري ، و هذه لفلان القروي ، و هذا مسجد القرويين و رحبتهم ، و هذا مسجد البصريين ، و هذا الكوفيين ..."[1] .

كما انتشرت في الدولة الرستمية من كان لهم مسجد خاص به كمسجد الذي بناه أبو مرداس مهاصر السدراتي ، الذي بلغ في العلوم النهاية حيث كان له مسجد في كهف يتعبد به [2].

و من الأئمة الرستميين الذين حولت مجالسهم كالمساجد الإمام أبو اليقضان محمد بن أفلح ، فمن حبه للعلم و دعمه له جعل مجلسه كالمسجد طائفة يصلون و طائفة يقرؤون القرآن و طائفة يتذاكرون في فنون العلم [3] .

2-الكتاتيب :

الكتاتيب مفردها الكُتَّابْ و هو موضع التعليم يتعلم به الصبية [4] و تعتبر هذه الكتاتيب من أشهر أنواع التعليم الإبتدائي في العصر الوسيط.

---

[1] إبن الصغير : المصدر السابق، ص 36.

[2] الشماخي :المصدر السابق، ص 151.

[3] نفسه: ص 189؛ إبن الصغير : نفسه، ص 98 ؛ الدرجيني: المصدر السابق ، ج1، ص 83.

[4] الفيروز أبادي : **القاموس المحيط** ، تحقيق أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة 2008 ، ص 1392.

كان انتشارها في المغرب مع قادة الفتح الإسلامي ، فبعد اختطاط القيروان أول ما أنشأوا الدور و المساجد ، التفتوا بعدها إلى تعليم الصبيان فاتخذوا محلا " كتّابًا " بسيط البناء يجتمعون فيه لقراءة القرآن [1] .

لم تكن هذه الكتاتيب دارا كبيرة و إنما هو مكان متواضع ، يتسع لعدد من الصبيان يشرف عليهم معلم [2] ، يتعلم فيها الصبي القرآن و الكتابة و العربية ، و قد يتعلم الحساب و الشعر و أخبار العرب ، على أن أهم ما يدرس الصبي هو حفظ القرآن [3] .

اهتمت الدولة الرستمية اهتماما بالغا بالعلم و العلماء فقامت بإنشاء الكتاتيب لتدريس الطلاب ، التي ستسمح لهم بالاستفادة منها مستقبلا في مختلف مجالات العلوم .

فقد اهتم الأئمة الرستميين بطلب العلم منذ الصغر فالإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن الإمام الثاني للدولة الرستمية كان من كبار العلماء و كان شغوفا بالعلم منذ صغره حيث أنه تلقى العلم بتيهرت على يد أبيه إمام عبد الرحمن [4] . الذي اشتغل هو الآخر بالتدريس فقد تخرج على يديه كثير من طلاب العلم و من ضمنهم ابنه أفلح [5] .

كذلك ذكر الإمام محمد عن أبيه أفلح أنه قعد عليه قبل بلوغ الحلم ثلاث حلق يتعلمون فنون العلم من الكلام و اللغة و الفقه [6] .

---

[1] محمد بن سحنون : **آداب المتعلمين** ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، تونس ،1972 ، ص33.

[2] أحمد فؤاد الأهواني : **التربية في الإسلام** ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1955 ، ص 52.

[3] نفسه ، ص 53.

[4] محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ص 401.

[5] الشماخي :المصدر السابق ، ص 166.

[6] نفسه ، ص 189.

3 – المكتبات :

إن اقتناء الكتب و حركة التأليف دلالة واضحة على مدى نشاط حركة الفكر و تطورها فقد برز في تلك الفترة الكثير من العلماء في شتى ميادين العلم .

و من هنا زادت حركة النسخ للكتب و نقلها من المشرق إلى المغرب و من ذلك ما فعله الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن حين أرسل ألف دينار إلى إخوانه بالبصرة ليشتروا له بها كتبا ، فاقتضى نظرهم أن يشتروها ورقا فسهروا على نسخها و بعثوا له أحمالا منها فكانت وقرا أربعين جملا فبعثوا بها إليه [1] .

فكانت النواة الأولى نحو تكوين المكتبة التي اشتهرت فيما بعد في تاهرت باسم " مكتبة المعصومة " التي تذكر المصادر أنها ضمت حوالي ثلاثمائة ألف مصنف في مختلف فنون العلم و يذكر أن أغلب كتبها من تأليف علماء و أئمة المذهب الإباضي مع وجود كتب أخرى في مجالات مختلفة [2] ، و منها المدونة التي قام الشيخ عمروس بنسخها عن مدونة أبي غانم الخرساني بمساعدة أخته[3] .

إلا أن هذه المكتبة لم يبق لها أثر حاليا ، فتذكر المصادر أن بمجرد دخول الفاطميين إلى تيهرت قاموا بحرقها خاصة الكتب التي لها علاقة بالمذهب الإباضي و يبين هذا مدى العداء الشيعي للمذاهب الأخرى [4] .

---

[1] الشماخي: المصدر السابق ، ص 142؛ الدرجيني : المصدر السابق ،ج1، ص 56 ؛ أبي زكريا: المصدر السابق ، ص 99–100.

[2] محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ص 332.

[3] الشماخي : نفسه ، ص 194–196 ؛ الدرجيني: نفسه ، ج2 ، ص 323.

[4] الدرجيني : نفسه ، ج1، ص 95.

المبحث الرابع : العلوم و العلماء في تيهرت الرستمية

كانت الدولة الرستمية دولة علم و ثقافة ، فنجد تاهرت قد تبوأت مكانة ثقافية هامة إلى جانب مكانتها السياسية باعتبارها عاصمة دولة ، و يعود الفضل إلى ذلك التطور و الازدهار الثقافي إلى عناية الرستميين بالآداب و مختلف العلوم ، و التعمق فيها من خلال اهتمام الأئمة الرستميين بها و تكريس حياتهم للعلوم و نشرها إلى جانب مهمتهم السياسية .

فاعتبروا من فحول العلماء و المفكرين الذين شاركوا مشاركة فعالة في ازدهار الحركة العلمية إلى جانب العلماء الآخرين.

و من أهم العلوم البارزة في تيهرت و أبرز روادها نذكر :

أولا : العلوم النقلية:

حظيت العلوم الدينية بمختلف فروعها كعلم التفسير و الحديث و الفقه بقسط كبير من عناية الرستميين ، و يعود هذا الاهتمام بهذه العلوم إلى طابعهم القائم على أسس دينية لتبنيهم للمذهب الإباضي فحمَّل الأئمة الرستميين الناس على التمسك بالقرآن و السنة و عملوا على نشر مبادئ المذهب الإباضي من خلال تسامحهم المذهبي و عقدهم للمناظرات .

من أهم العلوم الدينية المنتشرة في تيهرت في العهد الرستمي نجد :

1-التفسير :

القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف ، و بما أنه مصدر التشريع بالنسبة للمسلمين فقد اهتموا بتفسيره من خلال معرفة اللغة و الإعراب و البلاغة لتوضيح لشرح معانيه [1] .

[1] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج1، ص 555.

فمن خلال أهمية الكبيرة لهذا العلم ، حرص علماء تيهرت على تفسير أحكام القرآن الكريم و جاء اهتمامهم بهذا النوع من العلوم للرد على المخالفين من خلال المناظرات التي كانت تقام في تيهرت .

في عهد الإمام عبد الوهاب (ثاني الأئمة الرستميين) ظهرت فرقة سميت بالواصلية[1] فلما رأى إمام ما نزل به منهم " أرسل إلى أهل نفوسة يستمدهم طالبا منهم جيشا يكون فيهم رجل مناظر عالم بفنون الرد على المخالفين و رجل عالم بفنون التفسير ... " [2] .

و كان الرجل محمد بن يانس الذي قدم تاهرت و قال الإمام : " و أنا كفيتك تفسير القرآن قد أخذته عن الثقات " [3] .

نلاحظ مدى اهتمام الأئمة الرستميين بعلم التفسير و علماءه للرد على مخالفيهم من خلال المناظرات التي كانت تقام في تيهرت .

كما يذكر أنه كان للإمام عبد الرحمن بن رستم كتاب في التفسير[4] ، غير أن ابن الصغير يفند هذا الخبر بقوله " لم يكن لعبد الرحمن كتاب معروف من تأليفه " [5] .

---

[1] الواصلية :هم أصحاب واصل بن عطاء البصري(80هـ-131هـ)، رأس المعتزلة و سموا بالمعتزلة لاعتزالهم مجلس حسن البصري في قضية مرتكب الكبيرة ظهرت هذه الفرقة في المغرب فكان بينهم و بين الإباضية عدة مناظرات و حروب و وقائع . (محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الإسلامية** ، دار الفكر العربي القاهرة ، ص 117 ؛ الشماخي : المصدر السابق، ص 167).

[2] الدرجيني :المصدر السابق، ج1، ص 57.

[3] نفسه ، ص 58 ؛ الشماخي : نفسه ، ص 137.

[4] الشماخي : نفسه ، ص 137.

[5] ابن الصغير : المصدر السابق ، ص 45.

من المؤلفات نجد كتاب في التفسير للشيخ هود بن محكم الهواري من علماء القرن الثالث هجري ، و يقع هذا التفسير في أربعة أجزاء و هو تفسير بالمأثور و لا يزال مخطوطا [1] .

2- الحديث:

إن ما يميز الدولة الرستمية أنها دولة مستقلة خارجية تعتمد على المذهب الإباضي ، لذا لم يهتم علماء الإباضية بهذا النوع من العلم ،فقد اعتمد الإباضيون في المغرب على مؤلفات علم الحديث للعلماء الإباضية في المشرق فقد كانت البصرة منبع العلم للإباضيين و مركزا لتلقي علوم المذهب ، فقد كان العلماء الإباضية يحجون إليها لطلب العلم .

فالإمام عبد الرحمن بن رستم هاجر في سنوات عمره الأولى الى البصرة قبل أن ينشأ الدولة الرستمية إلى " أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة "[2] فظل خمس سنوات ينهل من علمه حتى تخرج منه عالما.

و يمكننا القول أيضا أن كتب الحديث الإباضية المشرقية وجدت في بلاد المغرب عن طريق شراء الكتب و كذلك عن طريق الرحلات العلمية ، فكانت عامل مهم في دخول مؤلفات علم الحديث المشرقية الإباضية إلى بلاد المغرب الأوسط [3] .

و من كتب الحديث التي اشتهرت في بلاد المغرب ،كتاب المسند لابن الحبيب المسمى "كتاب الربيع" الجامع الصحيح دونه الإمام الربيع بدليل ابتداء السند من أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة "أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ...."، و دون الإمام الربيع مسنده بطريقة " تدوين

---

[1] الشماخي : المصدر السابق، ص 245.

[2] أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي: اشتهر بالقفاف ، تعلم العلوم و عملها و رتب روايات الحديث و أحكمها ، أخذ عنه خلق كثير ومنهم حملة العلم إلى المغرب(الشماخي : نفسه ، ص88).

[3] عيسى بن الذيب : المرجع السابق ، ص 49.

الأحاديث النبوية فقط " عكس الذي دونوا في عهده ،يخلطون بين الأحاديث النبوية و أقوال الصحابة و فتاوى التابعين ، فأولى الإباضية في المغرب عناية فائقة به [1] .

كما عرفت تيهرت تواجد علماء أجلاء من غير المذهب الإباضي الذين برزوا في علم الحديث نذكر منهم علماء المالكية أمثال "أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي التاهرتي " نشأة ودارا و وفاة ،ولد حوالي 200هـ ،و تلقى بها دروسه الأولى على يد مشاهير علمائها و فقهائها و كبار محدثيها ،إلا أنه اشتهر أكثر كشاعر و أديب [2] .

3 –الفقه:

يعتبر علم الفقه ، ذو أهمية كبيرة عند المسلمين نظرا لارتباطه بالدين الإسلامي (كتاب الله عز و جل و السنة المطهرة) فعمد كثير من الفقهاء على دراسة هذا العلم لتوضيح تعاليمه للمسلمين و تنظيم أحوالهم .

هذا ما جعل بنو رستم بتاهرت يهتمون بهذا العلم من خلال بروز العديد من الفقهاء و مع العلم أن الدولة الرستمية تبنت المذهب الإباضي فعملت على نشر الإسلام من خلال مبادئ مذهبها ، كما عرف عنها تسامحها المذهبي ، هذا ما زاد علم الفقه حيوية و نشاط ، فقد فتح المجال للمناظرات بين الإباضية و غيرها من المذاهب ـ المالكية و المعتزلة و الشيعة ومن أبرز العلماء المناظرين :

مهدي النفوسي الذي ناظر المعتزلة في عهد الإمام عبد الوهاب [3] و **محمود بن بكر** و كان من الذين يدافع عن دينه و يرد على الفرق [4] .

---

[1] الشماخي : المصدر السابق ، ص109.

[2] محمد بن رمضان شاوش : المرجع السابق ، ص 43.

[3] الدرجيني :المصدر السابق ، ج1، ص58.

[4] ابن الصغير: المصدر السابق ، ص93.

و من أبرز العلماء الذين اهتموا بالفقه في تيهرت نتطرق أولا لاجتهاد الأئمة في ذلك فحين بلغت الكتب التي اشتراها الإمام **عبد الوهاب** إليه اجتهد في قراءتها حتى أتمها فقال : الحمد لله الذي علمني كل ما فيها من قبل ، و لم أستفد منها إلا مسألتين و قيل ثلاث مسائل و لو سئلت عنهما لأجبت فيهما قياسا [1] . و هذا دليل على سعة علمه في أمور الدين.

و من العلماء الإباضيين الذين اهتموا بالفقه و نبغوا فيه عالم يعرف **بأبي عبيدة الأعرج** عرف عنه الورع و إذا اختلف المسلمون في أمر من الفقه أو من الكلام صدروا عن رأيه [2] .

و منهم **عمروس بن فتح المساكني النفوسي** ، كان عالم زمانه ، و عرف عنه تبحره في العلم و اجتهاده في دراسة العلم و ملازمة الدروس ، له مصنفات في الفروع و العقائد و من أهم مصنفاته في الفقه المدونة الفقهية لأبو غانم بشر بن غانم الخرساني التي قام بنسخها بمساعدة أخته و هي على اثني عشر جزءا ، ظلت نسخة عمروس ينتفع بها الإباضية بعدما ضاعت المدونة و إحراقها مع معظم الكتب الأخرى في تيهرت [3] .

4- علم الكلام :

عرف هذا العلم الانتشار الواسع في كنف الدولة الرستمية و هذا راجع إلى تطبيق الدولة لمبدأ الحرية الفكرية و الدينية فيها ، فلم يقمع المخالفين بمذهب الدولة و هذا ما شجع انتعاش المناظرات العلمية بين مختلف علماء المذاهب بكل حرية .

و من الأئمة الرستميين الشغوفين بعلم الكلام و المناظرة و تمكنه منه الإمام عبد الوهاب فمما يروى عنه أنه قال : " ذاكرت أبا مرداس في الوجوه التي تحل بها الدماء

---

[1] الشماخي : المصدر السابق ، ص142.

[2] ابن الصغير : المصدر السابق ، ص95.

[3] الشماخي: نفسه ، ص194.

أو بأحدها فذكرت أحدها فتنكر و كره فامسكت عن باقيها ، ثم ذكر الإمام أربعين وجها و قيل سبعين وجها يحل فيها الدم من فعل شيئا "[1] و من المناظرات المشهورة للإمام عبد الوهاب مناظراته مع الواصلية (المعتزلة) [2] .

كما كان في عهد الإمام أبي حاتم عهد إنفتاح على الرغم من الحروب التي وقعت في عهده ، فنجد علماء المذاهب الأخرى يتناظرون في المساجد بكل إحترام ، فلم يمنعهم الإمام أبو حاتم ، فنجد ابن الصغير يحدثنا عن ذلك فيقول : " ... و كانت مساجدهم عامرة و جميعهم يجتمعون فيه و خطيبهم لا ينكرون عليه شيئا ، إلا أن الفقهاء تناجت المسائل فيما بينها فتناظرت ، و اشتهت كل فرقة أن تعلم ما خلفتها فيه عاقبتها ، و من أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم قربوه و ناظروه ألطف مناظرة ، و كذلك من أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم كان سبيله كذلك" [3] .

و من العلماء المشهورين بهذا العلم **عبد الله بن اللمطي** و كان غاية في علم الكلام و كان يرد على الفرق و ينقذ مقالات المبتدعة حسب قول الشماخي ، جمعت بين الإباضية و المعتزلة مناظرة كان عبد الله بن اللمطي طرفا فيها[4] .

أبو عبيدة الأعرج كان غاية في العلم فإذا اختلفوا في مسألة في الكلام و الفقه صدروا عن رأيه [5] .

---

[1] الشماخي: المصدر السابق، ص143؛ الدرجيني : المصدر السابق ، ج2 ، ص292.

[2] الشماخي : نفسه ، ص137 .

[3] ابن الصغير : المصدر السابق ، ص117.

[4] الشماخي : نفسه ، ص190.

[5] نفسه ، ص190.

ثانيا- علوم اللغة و آدابها:

اهتم الرستميون إلى جانب العلوم الدينية باللغة و آدابها، فعلاوة على المتكلمين و الفقهاء كان في تاهرت أدباء و شعراء و علماء أو ممن عرف عنهم حبهم للآداب و الأشعار و أخبار الماضين .

1-اللغة العربية:

ما يعرف عن سكان المغرب أنَهم من أغلبية بربرية ، احتكوا بالعرب إلاَ بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، و عند قيام الدولة الرستمية سكن تاهرت العديد من العرب فظهر اهتمام سكان المغرب باللغة العربية التي لطالما كانت مرتبطة بالقرآن و علوم الدين باعتبارها لغة الإسلام .

اعتبرت اللغة العربية لغة رسمية للدولة الرستمية ، فقد كانت تعاملاتهم اليومية بهذه اللغة من خطبة الجمعة ، و كانوا بها يلقون دروسهم و بها يعظون العامة و بها يكتب الأئمة مناشيرهم التي يبعثونها إلى كل أطراف الأمة [1] .

ومن العلماء الذين نبغوا في هذا العلم:

أبو سهل الفارسي الذي كان ترجمانا للإمام أفلح و الإمام يوسف لتضلعه في اللغتين العربية و البربرية،التي ألف فيها اثني عشر كتابا وعظا و تذكيرا و تخويفا [2] .

[1] محمد علي دبوز: المرجع السابق ، ص362.

[2] الشماخي : المصدر السابق ، ص244.

2- النحو:

عرف العلماء التيهرتيين اهتماما كبيرا باللغة العربية ،فعملوا على نشرها بين سكان المغرب، فبعدما اختلطت اللغة العربية بلغة السكان الأم،ظهر نوعا من التحريف و الزلل في قواعد اللغة العربية.

فكان لابد من ظهور علماء اهتموا بهذا النوع من الأدب، و من النحويين و اللغويين الذين برزوا في عهد الرستميين نذكر منهم:

أبو عبيدة الأعرج فبالإضافة إلى كونه عالما بالفقه و الكلام ،نبغ في النحو و اللغة و يذكر ابن الصغير أنه سمع منه كتاب إصلاح الغلط الذي ألفه عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت:270هـ) [1] .

كما عرفت تيهرت علماء يهود نبغوا في هذا العلم:

يهوذا بن قريش من أكابر علماء تيهرت عرف بذكائه ، و كان يحسن العربية و البربرية حاول المقارنة بينهما فكان ذلك أول واضع لأسس النحو التنظيري " و له كتاب في ذلك بالعربية توجد نسخة منه في أكسفورد [2] .

3-الأدب:

شهدت تيهرت في العصر الرستمي نهضة أدبية واسعة ،فلقد كانت عامرة بالأدباء و المفكرين ، و في طليعتهم نجد الأئمة الرستميين و مجموعة كبيرة من الأدباء و الشعراء التي تولدت عنها حركة فكرية متميزة .

---

[1] ابن الصغير: المصدر السابق ، ص96 .

[2] رابح بونار : **المغرب العربي تاريخه و ثقافته** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط2، ص 91 مبارك بن محمد الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ج2 ص80 .

و يتفرع الأدب إلى فرعين:

أ-النثر:

كما ذكرنا سابقا ،فلقد كان في مقدمة المفكرين الأئمة الرستميين فلقد عرف عن الإمام عبد الوهاب أنه كان أديبا مفكرا ، له خطب و وصايا و رسائل تدَل على سمو فكري و رقي أدبي ،فلقد كانت هذه الرسائل الرسمية التي تصدر عن الأئمة إلى رعيتهم كرسالة الإمام أفلح إلى عماله يدعوهم إلى تقوى الله و لزوم طاعتهم .

و رسالة أبي اليقظان إلى جميع رعيته تعبر عن أسلوب أدبي راقي،يمتاز بقوته من خلال تعابيره المحكمة [1].و تألق أيضا في هذا النوع من الفن الإمام "أفلح بن عبد الوهاب "من خلال قصائده ذات النوع التعليمي مضمونها حث الطلبة على طلب العلم و هي تقع في أربعة و أربعين بيتا،هذا مطلعها:

أشدد إلى العلم رجلا فوق راحلة وصل إلى العلم في الآفاق إسفارا

و أصبر على دلج الأغساق معتسفا مهامه الأرض أحزانا و أقطارًا [2]

ب-الشعر:

يعرف الشعر بأنه الكلام الموزون المقفى[3] ، حظيت تيهرت بمجموعة كبيرة من الشعراء ،الذين نشطوا الحركة الفكرية و نذكر منهم :

[1] محمد بونار : المرجع السابق ، ص54.

[2] محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ص336.

[3] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج1 ، ص784.

من أهم الشعراء الرستميين الإمام أفلح الذي تنسب إليه أبيات عديدة من الشعر منها الأبيات التي يمدح فيها العلم و هي :

العلم أبقى لأهل العلم آثارًا يريك أشخاصهم روحا و أبكارًا

حي و إن مات ذو علم و ذو ورع ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا [1]

و من الأدباء الذَين بلغوا درجة سامية في الأدب و فنونه لدينا :

أحمد فتح المعروف بإبن الخراز التاهرتي قاضي تاهرت و شاعرها ، اشتهر بمدحه لأبي العيش عيسى بن ابراهيم بن القاسم و هو أحد الأمراء الادارسة بالمغرب الأقصى ، و نبغ كذلك **ابن الهرمة الأديب الفكاهي** المضروب به المثل في إجادة النقد و حذق الشعر،كما نجد **سعيد بن أشكل التيهرتي** من قضاة تيهرت و شعرائها ، هجا مدينة تنس شعرًا [2] .

و من شعراء العصر الأكثر نبوغا في تيهرت في ذلك العصر، **بكر بن حماد التاهرتي**(200هـ-296هـ/815-908م) هو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي ، ولد و نشأو تعلم بتاهرت ، رحل إلى القيروان لمواصلة تكوينه فقد كان ثقة عالما بالحديث و شاعرا فصيحا ، فاضلا ، جليلا ، بعدما سعي به إلى إبراهيم بن أحمد الأمير خرج هاربا من القيروان يريد تاهرت ، و في طريق عودته خرج عليه قطاع الطريق، فقتل ولده عبد الرحمن ،له عدَة أشعار رثى بها ابنه مطلعها:

بكيت على الأحبة إذا تولوا ولو أني هلكت بكوا عليا

---

[1] محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص337.

[2] محمد بن رمضان شاوش : المرجع السابق ، ص39 ؛ شوقي ضيف : **عصر الدول و الإمارات** ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1، ص120.

كما له في الزهد و المواعظ و ذكر الموت و حوله شعر كثير[1] .

ثالثا:العلوم العقلية:

بلغت العلوم العقلية (الطب و الحساب و الفلك) مبلغا عظيما في العهد الرستمي ، لما أولته الدولة الرستمة من اهتمام و عناية بهذا النوع من العلوم .

و قد بلغ الاهتمام به درجة كبيرة حتى قيل "معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعرف منزلة القمر"[2] .

و من العلوم المنتشرة في العهد الرستمي و أبرز روادها نذكر:

1-الحساب و الفلك:

برز في العصر الرستمي علم الفلك كثيرا على غرار باقي العلوم العقلية و من طليعة العلماء الإمام أفلح بن عبد الوهاب فقد بلغ في علم الغبار و النجامة مبلغا عظيما و تذكر المصادر أنه قعد ذات ليلة مع أخته فتذاكرا عن أول ما يذبح في السوق ، فقال أفلح : بقرة صفراء في بطنها عجل أغر قالت الأخت ذلك البياض في طرف ذنبه و كان الأمر كما قالا -حسب قول الشماخي- .

فكانت أخت الإمام أفلح بارعة في علم الحساب و الفلك و التنجيم[3] .

---

[1] أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي : **رياض النفوس** ، تحقيق بشير بكوش ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1،1983،ج2، ص21- 26 ؛ عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الدباغ : **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور و محمد ماضور، مكتبة الخانجي مصر، ج2 ص281-284.

[2] الدرجيني : المصدر السابق، ج1، ص56 .

[3] الشماخي: المصدر السابق ، ص167 .

الفصل الثاني

تمهيد :

عرف المغرب الإسلامي خلال القرنين (4-5هـ/10-11م) ،حدثان بارزان كان لهما الأثر البارز في تغيير المسار السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي في المغرب الإسلامي عامة و المغرب الأوسط خاصة ،تمثلا في رحيل الفاطميين ، و نهاية الحكم العربي في بلاد المغرب، بينما الثاني تمثل في هجرة القبائل العربية لبلاد المغرب .

آل الحكم في المغرب الأوسط خلال قرن و نصف إلى الأسرة الحمادية على يد مؤسسها حماد بن بلكين ، التي عملت على قطع الولاء للفاطميين و التشريع للمذهب المالكي ،لقد سمحت هذه الفترة بتأسيس عدَة مراكز ثقافية ، أهمها بجاية (460هـ-1067م) التي أصبحت أهم مركز ثقافي في المغرب الإسلامي .

فالمتصفح لتاريخ مدينة بجاية في العصر الوسيط يجد أنَها كانت من أزهى المدن ثقافيا و حضاريا ، فأصبحت المدينة ملتقى رجال العلم يقصدها عدد كبير من العلماء و الشعراء ساهموا في بروز مختلف العلوم والمعارف،فكانت لها دور كبير في تنشيط الحركة الفكرية و العلمية في المغرب الإسلامي.

المبحث الأول: لمحة جغرافية و تاريخية عن بجاية الحمادية

أ-جغرافية بجاية:

بجاية من المناطق التي حظيت بالدراسات الجغرافية أيضا و هذا راجع لتدافع العلماء و الرحالة إليها و بسبب موقعها الإستراتيجي المطل على البحر.

بجاية بالكسر و تخفيف الجيم و ألف و ياء و هاد و هي مدينة على ساحل البحر بين إفريقية و المغرب و كان أول من إختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين ، بينهما و جزيرة بني مزغنان أربعة أيام [1] .

فيذكر الجغرافيين أن بجاية مدينة عتيقة تقع في منحدر جبل شاهق على ساحل البحر المتوسط [2] ، و يذكر أبي الفدا في كتابه تقويم البلدان أنَ بجاية هي قاعدة المغرب الأوسط و لها نهر على شاطئه البساتين و أنهاره في شرقي بجاية و يقابل بجاية من الأندلس طرطوشة و غربها جزائر بني مزغنة ، و في آخر حد مملكة بجاية و شرقي قسنطينة مرسى الخرز المخصوص بالمرجان و أمام هذا المرسى جزيرة سردانية [3].

أما العبدري في كتابه الرحلة المغربية فيذكر بأنَ بجاية هي مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة برية و بحرية وثيقة البنيان عجيبة الإتقان رفيعة المباني غريبة المعاني موضوعة في

---

[1] ياقوت الحموي : المصدر السابق، ج1 ، ص 339.

[2] حسن أحمد بن محمد الفاسي الوزان ليون : **وصف إفريقيا** ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، مراجعة علي عبد الواحد ، المملكة العربية السعودية ، ص 5.

[3] عماد الدين أبي الفدا : المصدر السابق ، ص 137.

أسفل جبل وعر مقطوعة بنهر و بحر ،مشرفة عليها أشراف الطليعة متحصنة بهما منيعة فلا مطمع فيها لمحارب و لا متسع فيها لطاعن و ضارب [1].

كما أورد أيضا الحميري (ت900هـ) في كتابه الروض المعطار في خبر الأقطار أنَ بجاية هي قاعدة المغرب الأوسط مدينة عظيمة على ضفة البحر بضرب سورها و هي على جرف حجر و لها من جهة الشمال جبل يسمى أمسيول و هو جبل سام صعب المرتقى و في أكنافه أنواع من النبات المنتفع به في صناعة الطب مثل البرباريس و القنطوريون و الروان و الأسفيوس و غير ذلك من الحشائش و في هذا الجبل عقارب صفر الألوان قليلة الضرر[2]. و على حد قول الإدريسي فإنَ مدينة بجاية مدينة المغرب الأوسط و عين بلاد بني حماد و السفن إليها مقلعة و بها القوافل منحطة و الأمتعة إليها برًا و بحرًا و السلع إليها مجلوبة و البضائع بها نافقة و أهلها مياسير تجار، و بها من الصناعات و الصناع ما ليس بكثير من البلاد و أهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى و تجار الصحراء و تجار المشرق ، و تباع البضائع بالأموال المقنطرة ، ولها بواد و مزارع و الحنطة و الشعير بها موجودان كثيرا و التين و من سائر الفواكه بها ما يكفي لكثير من البلاد و بها أيضا كما أجمعت كل المصادر دار صناعة لإنشاء الأساطيل و المراكب و السفن و هذا لأن الخشب في أوديتها و جبالها كثير[3].

و هذا ما ذكره أيضا الحميري حول السفن و الصناعة و يقول بأنَ بجاية هي عين بلاد بني حماد و السفن إليها متكررة و السفن إليها برًا و بحرًا و السلع إليها مجلوبة و أهلها تجار

---

[1] محمد العبدري البلنسي: **الرحلة المغربية** ، تقديم سعد بوفلاقة ، منشورات بونة للبحوث و الدراسات ،الجزائر، ط1 ، 2007 ، ص 49 .

[2] محمد بن عبد المنعم الحميري : **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان ط1،1975 ، ص80 .

[3] الإدريسي : المصدر السابق ، ص 116.

مياسير ولها بواد و مزارع و الحنطة و الشعير و يجلب إليها من أقاليمها الزيت الطيب و القطران و بها معادن الحديد الطيب و بها من الصناعات كل غريبة[1].

كما أورد أيضا الحميري أنَ بجاية هي مدينة عظيمة ما بين جبال شامخة قد أحاطت بها و البحر منها في ثلاث جهات في الشرق و الغرب و الجوف و لها طريق إلى جهة المغرب يسمى المضيق على ضفة النهر المسمى بالوادي الكبير و طريق في القبلة إلى قلعة بني حماد على عقاب و أوعار الكبير[2].

كما يذكر حسن الوزان في كتابه ."بأن المدينة كلها عقبات ، بحيث أنَ الماشي لا يستطيع أن يخطوا خطوات دون أن يصعد أو ينزل [3] . لذلك قال الشاعر:

بجاية كلها عقاب حلَ لمن حلها عقاب[4] .

و بجاية معلقة من جبل قد دخل في البحر يضرب فيه و هي مدينة كثيرة الفواكه و الخيرات و هي مشرفة نزهة مطلة على البحر.و لها نهر عظيم قد وضعت عليه نواعر و له منتزه عظيم و في بجاية موضع يعرف باللؤلؤة و هو أنف من الجبل قد خرج في البحر متصل بالمدينة فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة غاية في الحسن فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد و الأبواب المخرمة المحلاة و المجالس المقرصنة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض قد نقشت بالذهب و اللازورد ، و هذا الجبل أمسيول هو كثير البساتين و كثير القردة و فيه الحيوان المشوك المسمى بالذرب[5] .

---

[1] الحميري : المصدر السابق ، ص 81 .

[2] نفسه ، ص81 .

[3] الوزان : المصدر السابق ، ص50 .

[4] الحميري : نفسه ، ص 81 .

[5] نفسه ، ص81-82 .

أما عن أهل بجاية فقد عرفوا على قدر عظيم من الغنى ،و هذا راجع إلى عدد السفن الحربية المختلفة التي يرسلونها لغزو شواطئ إسبانيا.

وأما العمارة و العمران في بجاية ، فإنَ فيها جوامع كافية و مدارس يكثر فيها الطلبة و أساتذة الفقه و العلوم بإضافة إلى الزوايا المتصوفة و حمامات و فنادق و مارستان و كلها صروح مشيدة حسنة البناء ، و أسواقها كذلك جميلة منسقة أحسن تنسيق[1]، و لها جامع عجيب منفرد في حسنه غريب من الجوامع المشهورة الموصفة المذكورة و هو مشرف على برها و بحرها و موضوع بين سحرها و نحرها ،فهو غاية في الفرجة و الأنس ، ينشرح الصدر لرؤيته و ترتاح النفس و أهلها يواضبون على الصلاة فيه ، مواضبة رعاية ، و هذا البلد بقية قواعد الإسلام و محل تجلة العلماء و الأعلام و له مع حسن المنظر طيب المخبر[2] .

[1] الوزان : المصدر السابق ، ص 50.

[2] العبدري : المصدر السابق ، ص 50 ، أنظر ملحق رقم 5 ، خريطة بجاية .

ب- لمحة تاريخية عن مدينة بجاية:

بجاية اسم خالد في تاريخ المغرب الإسلامي بشكل عام ،و في حضارة المغرب الأوسط بشكل خاص ، إذ تعد ثاني عاصمة لدولة بني حماد ،أما عاصمتهم الأولى فقد كانت مدينة القلعة المشهورة "بقلعة بني حماد"[1] التي ارتبط اسمها باسم مؤسسها "حماد بن بلكين"[2] الذي استطاع بعد المكاسب التي حققها كرجل حرب بتكليف من ابن أخيه "باديس بن المنصور "[3] الذي سرح عمه حمادا لحرب القبائل المعارضة و خرج على إثره و دوخ المغرب و اثخن في زناتة و اختط مدينة القلعة سنة 398هـ/1007م [4] .

واستمرت حاله إلى أن نهض باديس بأمره ، و في سنة 405هـ كتب إليه باديس يأمره برفع يديه على ما ملكه، فامتنع حماد و ساء ما بينهما إلى قيام حروب

---

[1] القلعة : اختطها حماد بن بلكين سنة 398هـ على قمة جبل يسمى تاقربوست ، و هي قرب أشير، و ليس لهذه القلعة "منظر و لا رواء حسن إنما اختطها حماد للتحصن و الامتناع"(ياقوت الحموي: المصدر السابق ج4 ، ص163 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص227).

[2] حماد بن بلكين : كان ملكا كبيرا و شجاعا ثبتا و هو الذي بنى القلعة المنسوبة إلى حماد توفي في شهر رجب سنة تسع عشرة و أربعمائة (لسان الدين ابن الخطيب :**أعمال الأعلام** ، قسم الثالث تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ، تحقيق أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1964، ص86).

[3] باديس بن المنصور : أبو مناد باديس بن منصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي المغربي ولد سنة 374هـ بآشير و توفي سنة 406هـ. تولى افريقية بعد أبيه المنصور (ابن العماد الدمشقي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، تحقيق عبد القادر و محمد الأرناؤوط ، دار ابن كثير، دمشق ، مج5 ص38- 39)

[4] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6، ص210.

و أهوال عظيمة [1] خلفهم فيها أبنائهم ، فانقسم بذلك الملك الصنهاجي إلى دولتين ،الدولة الزيرية أصحاب القيروان ،و دولة حماد بن بلكين أصحاب القلعة[2] .

أما عن بجاية العاصمة الثانية للحماديين فيرتبط ظهورها إلى أحداث تاريخية هامة توجت بظهورها على مسرح الأحداث.

فيرجع بناء مدينة بجاية إلى ذلك العداء التاريخي القائم بين الدولتين الصنهاجيتين الزيرية و الحمادية ، و الذي تمثل في هذه الفترة في عهد الناصر بن علناس صاحب القلعة و "تميم بن المعز "[3] صاحب المهدية [4]حسب رواية ابن الأثير [5] .

تتحدث الروايات التاريخية أن سبب النزاع كان لما وصل لتميم أنَ الناصر يتحدث فيه في مجلسه و يذمه ، و أنه عزم على المسير إليه ليحاصره بالمهدية[6] حسب رواية ابن الأثير غير أن صاحب الإستبصار يرى أن الناصر بن علناس خرج لنصرة ابن عمه ضد العرب بعدما حوصر في المهدية[7] .

---

[1] ابن الخطيب: المصدر السابق ، ص71-72.

[2] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6 ، ص210.

[3] تميم بن المعز:صاحب القيروان ، السلطان أبو يحي الحميري، ولد سنة 422هـ و توفي سنة 501هـ تولى الحكم سنة445هـ(ابن العماد الدمشقي: المصدر السابق ، ج6 ، ص5-6).

[4] المهدية : اختطها أبو عبد الله المهدي و إليها نسب ، و هي جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند سنة 303هـ (ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص230-231).

[5] ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد الشبياني : **الكامل في التاريخ** مراجعة محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1987، ج 8 ، ص372.

[6] نفسه ، ص373 .

[7] مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 129(ونلاحظ خلط في الأسماء فالواقعة بين العرب و الحماديين على عهد الناصر و ليس في عهد المنصور).

و هنا أرسل تميم بن المعز إلى حلفاءه من بني رياح ضد الناصر يحملهم عليه فوافقوا شريطة أن يقدم لهم المعونة فأعطاهم المال و السلاح من الرماح و السيوف و الدروع و الدرق فجمعوا قومهم و تحالفوا و اتفقوا على لقاء الناصر[1].

فالتقى الفريقان في سنة 457هـ بين الناصر بن علناس و من معه من صنهاجة و زناتة و عدي و الأثبح ، و بين رياح و زغبة و سليم [2] ، و تميم بن المعز في موقعة سبيبة [3] ، فانهزم الناصر ، و قتل من أصحابه خلق كثير و نهبت أمواله و مضاربه ، و قتل قتل أخوه و سلم الناصر في نفر يسير و غنمت العرب جميع ما كان في العسكر من مال و سلاح و دواب[4].

أما عن بناء مدينة بجاية فترجع إلى أحداث تاريخية هامة ،" فلما نجا الناصر إلى القلعة ، نزلت عليه جيوش العرب و ضيقوا عليه ببلاده فكان يصانعهم حتى ضاق ذرعا بهم "[5] فانزعج الناصر فلم يعد يستقم له العيش في قلعته فكان لابد في هذه الحالة أن يختط

---

[1] ابن الأثير: المصدر السابق ، ص373 ؛ سعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي** ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ج3 ، ص453.

[2] القبائل العربية : نزحت من صعيد مصر إلى إفريقية بتأليب من الفاطميين و سميت هذه الهجرة بالتغريبة الهلالية و تشمل قبائل بني هلال و بني سليم و عدي و الأثبج و رياح و زغبة (عبد الحميد خالدي **الوجود الهلالي و السليمي في الجزائر** ، الجزائر ، 2003 ، ص 194) .

[3] سبيبة : ناحية من أعمال إفريقية ثم من أعمال القيروان (ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج3 ص 186) .

[4] ابن الأثير: المصدر السابق ، ص373 ؛ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص129.

[5] مؤلف مجهول : نفسه ، ص129.

مدينة أخرى ، فكان له ذلك بعدما اصطلح مع ابن عمه تميم بن المعز [1] بعدها اهتم تميم بن المعز لما حدث لابن عمه مع العرب و أصابه حزن شديد فبلغ ذلك الناصر[2].

كان للناصر بن علناس وزير يسمى " أبا بكر بن أبي الفتوح "[3] الذي قام بإرسال رسولا لتميم بن المعز لعقد هدنة فقبل تميم بذلك ، و أرسل رسولا إلى الناصر " محمد بن البعبع " [4] ، الذي مر على موضع بجاية و فيه أبيات من البربر ، فتأملها حق التأمل فلما قدم على الناصر غدر بصاحبه تميم بن المعز و استخلى بالناصر ، و قرر بينه و بين الناصر الهرب من تميم وعدم الرجوع إليه ، و أشار عليه بناء بجاية و أراه المصلحة من ذلك موضع المينا و البلد و الدار السلطانية ، فأمر الناصر من ساعته بالبناء و العمل[5] .

يرجح البعض أن السبب الرئيسي لتشييد بجاية هو أن الناصر كانت له أطماع توسعية و يريد فتح المهدية ، فرأى أنه لا يستطيع فتحها إلا إذا هجم عليها من جهة البر و البحر ، لذلك اختار مرسى يكون قريب من افريقية [6]، أما ابن الخطيب يرى أن السبب الذي

---

[1] ابن عذاري :المصدر السابق ، ج1، ص309(و كان هذا الصلح الذي عقده المعز و الناصر سنة 470هـ ، و زوَجه ابنته بلارة).

[2] ابن الأثير: المصدر السابق ،مج 8 ، ص373.

[3] أبا بكر بن أبي الفتوح : هو وزير الناصر تذكره المصادر أنه كان له ميل لدولة تميم ، يحب الاتفاق بينهما(ابن الأثير: نفسه، مج 8 ، ص373) .

[4] محمد بن البعبع : بعث به تميم بن المعز للناصر لعقد الصلح بينهما و في طريقه أعجب بموقع بجاية فأشار على الناصر ببناء بجاية (ابن الأثير، نفسه، مج8 ، ص374).

[5] ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ص 339 ؛ ابن الأثير : نفسه ، مج8 ، ص374.

[6] رشيد بورويبة : **الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،1977 ص68.

الذي أدى بالناصر لبناء بجاية كرهه مجاورة بني حماد في القلعة ، إذ كان يسكنها من فرسان صنهاجة اثنا عشر ألف فارس[1].

و يرى البعض الآخر السبب في بناء مدينة بجاية يرجع إلى خراب القلعة ، كنتيجة بموقعة سبيبة ، غير أنَ المؤرخ رشيد بوروبية يرى أن قلعة بني حماد كانت غير مهددة من طرف بني هلال و الدليل على ذلك حسب قوله أنها بقيت عاصمة ثانية للحماديين و أن الأميرين (الناصر و المنصور) شيدا فيها عدة مباني شهيرة [2].

إن موضع بجاية كان موقعا لمدينة أسسها الفينيقيون تعرف باسم " صلدة " ثم انتقلت إلى الرومانيين و عرفت باسم " صلداي " [3]أما البكري فيصفها على أنها مرسى سماه " مرسى بجاية "[4] .

و لم يذع صيتها في العهد الإسلامي إلاَ بعدما اختطها الناصر سنة 460هـ وكان له قبيل من البربر يسمون بهذا الاسم ، إلا أن الكاف فيهم بلغتهم ليست كافا بل هي بين الجيم و الكاف ، و على هذا القبيل من صنهاجة يأتون لهذا العهد أوازعا من البربر ، فلما افتتح هذا الجبل اختط به المدينة و سماها الناصرية ، إلا أنها عرفت باسم القبيلة البربرية التي تقطنها و هي بجاية ، و انتقل إليها سنة 461هـ . أما ابنه المنصور فنزل ببجاية سنة 483هـ . فاتخذها دار ملكه ، و جدد قصورها و شيد جامعها ، فبنى في بجاية قصر اللؤلؤة و قصر

---

[1] ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص94.

[2] رشيد بورويبة: المصدر السابق ، ص69.

[3] عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد** ، دار الصحوة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط2 1991، ص69

I .De Beylie :**La kalaa des beni hamad** , ernest leroux, paris, 1909, p93.

[4] البكري: المصدر السابق ، ص82.

أميمون [1]. و يشيد بتلك القصور صاحب الاستبصار بقوله " لم ير الراؤون أحسن منها بناء و يصفها بأنها " نقشت أحسن نقش و أنزلت بالذهب و اللازورد "[2] .

ظلت بجاية مدينة عامرة و زاهرة إلى آخر حكامها " يحي بن العزيز " ففي سنة 547هـ/1152م قوضت دولة الموحدين بقيادة أميرها عبد المؤمن[3] دولة بن حماد نهائيا في بجاية و القلعة ، حيث حاصر عبد المؤمن بجاية و ضيق عليها أشد التضييق ، فلما رأى يحي بن العزيز أن لا طاقة له بدفاع القوم و لا يستطيع منعهم ، فأرسل إليه عبد المؤمن الجيوش و دخل عبد المؤمن بجاية و ملكها و ملك قلعة بني حماد و أقام فيها مدة شهرين حتى هدنها و فتح أقطارها[4] .

ظلت بجاية و حتى بعد سقوط الدولة الحمادية تلعب دورا هاما و فعالا جعلها مركز اهتمام الدويلات التي حكمت المغرب بعد الدولة الموحدية كالحفصية و الزيانية و المرينية .

---

[1] ابن خلدون : المصدر السابق، ج6 ، ص 232.

[2] مؤلف مجهول : المصدر السابق، ص 130.

[3] عبد المؤمن بن علي بن مروان بن عامر بن الأمير موسى بن مادغسين بن بر بن عيلان بن عدنان ولد سنة 487هـ في أسرة فقيرة من قرية تاجرا نواحي ندرومة ، طلب العلم في بلدته ثم رحل إلى ملالة أين التقى بابن تومرت ، و هو الذي خلف المهدي بن تومرت و أسس بذلك الدولة الموحدية ، توفي سنة 558هـ بعد أن قام بتوحيد الغرب الإسلامي(ابن خلكان ، **وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان** ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ج3 ، ص 237).

[4] عبد الواحد المراكشي:**المعجب في تلخيص أخبار المغرب من فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين** تحقيق محمد سعيد العريان،مطبعة ليدن ،1881، ص 272؛ ابن أبي زرع الفاسي : **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ، صور للطباعة و الوراقة ، الرباط ،1972، ص194.

المبحث الثاني: دور الحكام في بناء الحياة الفكرية في بجاية:

بجاية من المناطق التي نالت شهرة ثقافية و علمية مزدهرة و برزت كغيرها من الحواضر العلمية في بلاد المغرب الأوسط ،خاصة بعد أن رحل الحماديون من القلعة إليها و استقروا بها و التي عرفت آنذاك باسم الناصرية نسبة إلى مؤسسها الناصر بن علناس كما أشرنا من قبل فقد نالت بجاية اهتماما كبيرًا من كتب الرحالة و المؤرخين نظرا لمكانتها كعاصمة علم و معرفة و مركز إشعاع حضاري لامع ،و يرجع الفضل إلى دور حكامها و الاستقرار السياسي

و لما أخذ المعز لدين الله الفاطمي بالرحيل إلى المشرق ،نظر فيمن يوليه أمر إفريقية و المغرب ، فعثر على بلكين بن زيري بن مناد و ليتولى من بعده أولاده و سميت الدولة بالدولة الزيرية [1] إلى أن تولى الحكم تميم بن المعز و في عهده تولى الناصر بن علناس الحكم في القلعة سنة 454هـ ، و كان بنو حماد في هذه الآونة ما يزالون يحتفظون بشمال و وسط المغرب الأوسط و قوة العرب الهلالية تزداد،لكن رغم هذا ضعفت شوكة الناصر و زادت قوته شيئا فشيئا [2].

و الناصر بن علناس أعظم ملوك هذه الدولة و أكثرهم دهاء و حنكة سياسية ، و قد دام حكمه سبعا و عشرين سنة [3].

---

[1] ابن خلدون : المصدر السابق، ج6 ، ص205.

[2] إسماعيل العربي: **دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية**،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر،1980 ص 161.

[3] شوقي ضيف : المرجع السابق ، ص 37.

ذكر ابن الخطيب أن الناصر هو الذي بنى بجاية لأنه كره مجاورة بني حماد في القلعة المنسوبة إليهم حتى اتسعت مملكته و بايعه أهل القيروان سنة ستين و أربعمائة،كما قصده الشعراء و الأدباء [1] .

و قد انتشر في هذا العهد ،ظاهرة التنافس الثقافي ،و كان السباق قائما بين بلدان المشرق و المغرب و الأندلس، و ساعد على نجاح هذا التنافس بالنسبة للحماديين رعايتهم و تشجيعهم للعلماء و المفكرين ، فقد كانوا يؤثرون العلماء على سائر الطبقات ، و يقدمونهم .

وكان الناصر خاصة أطول الملوك الحماديين باعا في هذا المضمار ، فقد كان يؤمه الأدباء ويقصده الشعراء فيغدق صلاته عليهم[2]. فإن أول عمل قام به هو تنظيم الدولة الحمادية و إخماده لجميع الثورات ثم تأسيسه لمدينة بجاية العتيقة[3].

كما عرف عن عهده الاستقرار و التحضر لأن غايته تصب في انتقال بجاية من طور إلى أخر ، وكما يبدو فإن الناصر كان إنسانا مسالما يميل إلى الهدوء و لا يحب الانغماس كثيرا في المشاكل السياسية [4] ، وعلى الرغم من جميع الصعوبات التي واجهته و المؤامرات إلا أنه خلف مملكة قوية مزدهرة فقد عنى بالبناء و التعمير ، فكان يدخل تحسينات بالاستمرار على القلعة، و بجاية . فكانت هذه الأخيرة ملجأ الأفواج اللاجئين و الشعراء و الفنانين وهذا ما جعلها مركز من المراكز الثقافية الهامة في العالم الإسلامي[5].

---

[1] ابن الخطيب :المصدر السابق ، ص 94-96.

[2] نفسه ، ص 95 ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 231-232.

[3] رشيد بورويبة : المرجع السابق ، ص 59.

[4] عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص 137.

[5] إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص 182.

ليتولى من بعد الرجل العظيم إبنه المنصور (481هـ-498هـ)، الذي سار على نهج أبيه في أمور السياسة ،فهو بذلك اقتفى آثار أبيه في الحزم و العزم و الرئاسة[1].

و يقول ابن خلدون عن المنصور :"كان مولعا بالبناء ،الذي حضر ملك بني حماد و تأنى في اختطاط المباني و تشييد المصانع و اتخاذ القصور و إجراء المياه في الرياض و البساتين "[2].

أما ابن الخطيب فيذكر بأن المنصور:" كان قائما على أمره حميد الخصال ، ضابط الأمور يكتب الشعر ، و يذهب في أموره مذهب أبي جعفر المنصور من رقع الثياب و التحفظ على القليل من الأشياء"[3].

كما عرف عنه ولعه بالبناء و التعمير، كما واجهته مثل أبيه مجموعة من المشاكل فيما يتعلق بالأمن و الدفاع،حتى أنه وصل إلى غاية تلمسان و بهذا استقام له المغرب الأوسط و قوي سلطانه[4].

و أيضا الحاكم العظيم العزيز بن المنصور (498-518هـ) الذي تسلم إمارة الدولة الحمادية ، و يكاد يكون امتداد لأبيه و جده الناصر في نمو الدولة فقد كان حازما ماهرا عارفا بتسيير الدول و الممالك[5].

---

[1] ابن الأثير : المصدر السابق ، ج8 ، ص166.

[2] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6 ، ص 67.

[3] ابن الخطيب: المصدر السابق ، ص 97.

[4] إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص204.

[5] عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص148.

و يقول ابن خلدون أيضا أن أيامه كانت هدنة و أمنا [1] ، أما إبن الخطيب فيقول أن أيامه كانت أعيادا لحسنها و جمالها [2] ، وقد كرس العزيز جهوده في إعادة السلام إلى نصابه بين صنهاجة و زناتة ، كما شجع العلم و الثقافة و ذلك لإعداد بجاية لإيواء وفود اللاجئين من العلماء و الشعراء و الفنانين الذين غادروا بجاية بعدما تدهورت أوضاعها، وكان مولعا بمجالسة العلماء و الاشتراك في مناظرات العلماء[3].

و خلاصة القول أن بجاية في العهد الحمادي عرفت ازدهارا خاصة في الجانب الثقافي العلمي ، فقد كان الحكام يولون أهمية كبيرة للعلماء و الأدباء حتى أضحت حاضرة بجاية تضاهي حواضر المغرب و الأندلس [4].

[1] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6 ، ص176.

[2] ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص99.

[3] إسماعيل العربي: المرجع السابق ، ص 206.

[4] أنظر ملحق رقم 2 ، حكام بجاية .

المبحث الثالث:المراكز التعليمية في بجاية:

عرفت الحياة الثقافية و الفكرية ببجاية خلال الفترة الحمادية انتشارا واسعا للمؤسسات الدينية و التعليمية ، التي ظلت طيلة هذه الفترة تؤدي دورًا تعليميا و تثقيفيا بارزا ، و من هذه المؤسسات المساجد ، الكتاتيب ، المعاهد ،المكتبات ، بالإضافة إلى الزوايا.

1-المساجد:

يمثل المسجد المؤسسة التعليمية الأولى في الدولة الإسلامية ، و بجاية كغيرها من حواضر المغرب الإسلامي عرفت انتشارًا لهذه المؤسسة الدينية و التعليمية منذ الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب الإسلامي في النصف الثاني من القرن الأول هجري ،خاصة في العهد الحمادي لاسيما في عهد الناصر بن علناس الذي بني فيها حوالي 72مسجدًا [1].

لقد لعب المسجد دورًا تعليميا هاما حيث يذكر أنَه لم يكن ثمة مسجد في المدينة خاليا من المدرسين [2] ، كما كان لبعض العلماء مساجد خاصة مثل مسجد الفقيه "أبو زكريا الزواوي"[3]

---

[1] محمد محمدي :"**المساجد و الزوايا ببجاية و دورها في حفظ الدين و الفكر الصوفي**"، حوليات التراث العدد 13، 2013، ص 89.

[2] عبد الحليم عويس : المرجع السابق، ص253.

[3] أبو زكريا الزواوي : هو أبو زكريا يحي بن علي و قيل بن أبي علي الزواوي ، من الفقهاء الزهاد، من أهل أمسيون خارج مدينة بجاية (أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية** ، تحقيق و تعليق عادل نويهض ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ص47).

الذي كان يجلس فيه ، و كان يدرس به الشيخ "أبي مدين شعيب"[1] و يقع في قصر اللؤلؤة ببجاية و كان يفتي في مسائل مختلفة[2].

إن المساجد كانت على رأس المؤسسات التعليمية التي ساهمت بانتشار الثقافة في بجاية و كانت هذه المساجد تنقسم إلى نوعين:

- أولها ، مساجد الأحياء بالمدن و يتكفلون بالإنفاق و التسيير و الإشراف على التدريس بها الرعية .

- و ثانيها، المساجد الكبرى التي تشرف الدولة على رعايتها و النظر في تعيين أئمتها[3].

حرص الأمراء الحماديين على تهيئتها لتؤدي رسالتها الدينية و التعليمية ، كما تجلت هذه العناية العلماء و الفقهاء و يستقبلونهم من مختلف الحواضر المغربية و الأندلسية ليدرسوا بها.

لقد ساهمت المساجد ببجاية في تطوير الحركة التعليمية و من بين أشهر المساجد نذكر:

الجامع الأعظم يعود بناؤه إلى القرن الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي خلال فترة حكم المنصور بن الناصر الحمادي(481هـ-498هـ/1088-1104م) ، شيد بجانب قصر اللؤلؤة

---

[1] أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي من ناحية إشبيلية ، توفي سنة 594هـ ، و دفن بعباد تلمسان يلقب بشيخ المشايخ ، و سيد العارفين ، كان من أعلام العلماء زاهدا فاضلا و كان من حفاظ الحديث خصوصا الجامع الترمذي، كما كان يلازم كتاب "الإحياء "و يعلق عليه ، و ترد عليه الفتاوى في مذهب مالك و يجيب عنها ، كان له مجلس وعظ يتكلم فيه فيجتمع عليه الناس من كل جهة ، تخرَج على يديه جماعة كثيرة من العلماء و المحدثين و من الأولياء أخذ العلم عن كبار علماء عصره في فاس ، بجاية ، و المشرق وغيرها(الغبريني: نفسه ، ص22 ؛ شهاب الدين أحمد بن محمد المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ،1988، مج7، ص 137-136).

[2] الغبريني : نفسه ، ص 27.

[3] الحسن أسكان : **تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط** ، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية الرباط ، 2004 ، ص77.

و كان هذا المسجد من أجمل المساجد رائعا في هندسته يبلغ طوله 220ذراعا ، و عرضه 250 ذراعا ، له واجهة مزينة ب 17 عقدا ، و باب كبير على يمينه و يساره ، و قبة عظيمة[1].

و يصفه العبدري في رحلته بأنه "جامع عجيب منفرد في حسنه غريب، من الجوامع المشهورة ...فهو غاية في الفرجة و الأنس ينشرح الصدر لرؤيته و ترتاح النفس" [2].

ظل هذا المسجد مركزا للعلماء و مقصدا لطلاب العلم حيث كانت تدرس به مختلف العلوم العقلية و النقلية ،في شكل حلقات أشرف عليها جلة من العلماء مثل **أبو محمد عبد الحق الإشبيلي** له ديوان شعر في الوعظ حدَث به جامع بجاية سنة 576هـ [3] .

و **المهدي بن تومرت**[4] الذي دخل بجاية في رحلته نزل بمسجد الريحانة و كان كثير من الفقهاء يأتونه لطلب العلم منه،فسار الإمام بن تومرت إلى ملالة و هي قرية ببجاية فلَما رأوه بنو العزيز قالوا له يا فقيه نريد أن نبني لك مسجدا هنا ، فقال لهم:إن شئتم ، فبنوا له مسجدًا و أقبل الطلبة يصلون إليه في كل مكان ، يقرأون العلم عليه[5].

و من أشهر المدرسين في حاضرة بجاية أيضا "**أبا الفارس عبد العزيز بن عمر بن مخلوف**" ، فكان له درس بين الصلاتين ، و درس بين العشائين ، و كلها دروس مشهورة

---

[1] رشيد بورويبة : المرجع السابق ، ص208.

[2] العبدري : المصدر السابق ، ص49.

[3] الغبريني : المصدر السابق ، ص12.

[4] المهدي بن تومرت :هو المهدي بن عبد الله محمد بن تومرت العلوي الحسيني ، من هرغة من قبائل المصامدة في جبل السوس ، ولد سنة 473هـ مؤسس الروحي للدولة الموحدية ، كان فقيها فاضلا عالما حافظا عارفا بأصول الدين ،توفي 524هـ بعد معركة ضد المرابطين(أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان:المصدر السابق ، ج5 ، ص 45-46).

[5] أبو بكر علي الصنهاجي البيذق :**أخبار المهدي بن تومرت** ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط 1971،ص ص13-14).

و دأب على هذا مدة طويلة ، و اقتصر بعده على التدريس بالجامع الأعظم بين الصلاتين و درس عليه العلم خلق كثير و انتفعوا به حتى أن الغبريني يذكر أنه سمع منه كثيرًا ، و قرأ عليه "الموطأ"بالجامع الأعظم[1] .

2-الكتاتيب:

الكتاتيب من أشهر أنواع التعليم الإبتدائي ،التي انتشرت في بلاد المغرب منذ الفتح الإسلامي.

و المكْتَبٌ موضع الكُتّابُ ،و المكْتَبُ و الكُتّابُ موضع تعليم الكِتابُ و الجمع الكتاتيب... و الكُتّاب الصبيان [2] .

حيث أصبح الكتَاب بعد ظهور الإسلام المكان الرئيسي للتعليم ، دعت إلى ظهوره حاجات التوسع في نشر الدين ، و قد تمتع بمكانة كبيرة الأهمية في الحياة الإسلامية ،لأنه كان المكان الرئيسي لتعليم الصغار القرآن الكريم ،لأنّ تعليم الأطفال القرآن بصفة خاصة كان أمرًا عظيما [3]، فاتخذوا لهم الكُتَابْ بسيط البناء على هيئة بيت مربع أو مستطيل مفروشا بحصر،يجلس عليه الصبيان متربعين حول المعلم[4] .

أما على المؤدب في الكتاتيب فوجوبا عليه تعليم القرآن الكريم حيث يرى إبن خلدون أصل التعليم الذي ينبني عليه في هذه الكتاتيب هو القرآن و يرى كذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخا[5].

---

[1] الغبريني : المصدر السابق، ص63 .

[2] ابن منظور : **لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت، مج 1، ص699.

[3] عبد الله عبد الدائم: المرجع السابق ، ص 146.

[4] محمد بن سحنون : المصدر السابق ، ص 44.

[5] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج1، ص740.

يبعث الصبي إلى الكُتَابِ عند بلوغه لهذه الكتاتيب المنتشرة في أنحاء المدن و القرى و التي قد تكون إلى جوار المساجد و قد تكون بعيدة عنها ،و لا تكون بداخلها على أية حال [1].

حيث عرف هذا النوع من المؤسسات التعليمية في بجاية بإسم "الشريعة" و من المحتمل أنه كان يحل محلَ الكتَاب و هو عبارة عن خيمة تنشر خاصة في البادية [2].

ما يلاحظ في هذه المؤسسة التعليمية أنها لم تحظى بدعم من البلاط الحاكم، بل كانت تتمتع بنوع من الملكية الخاصة.

3-المعاهد:

ظهر هذا النوع من المؤسسات التعليمية في المدن الكبرى و هي نوع من التعليم العالي ، أنشأه الناصر بن علناس في بجاية تحت إسم " معهد سيدي التواتي " و يذكر أنه كان يضم على ثلاثة ألاف طالب ، و هذا راجع نظرا لكثرة العلماء و الطلبة الذين كانوا في بجاية من أبناءها و حتى من خارجها ، كما كانت تدرس فيه كل المواد بما فيها العلوم الفلكية و خلال مؤتمر علمي ألقت تلميذة من هذه الجامعة محاضرة دامت ثلاثة أيام حول بروج الشمس أمام مجموعة من العلماء حتى الأجانب.

نلاحظ أن في هذا المعهد كان مرخصا للفتيات بالتعليم فيه و إلقاء المحاضرات و خلال حكم العزيز كان يحاضر في جامعة سيدي التواتي علماء من إسبانيا و إفريقية و بلاد الشرق[3].

[1] أحمد فؤاد الأهواني : المرجع السابق ، ص 28.

[2] عبد الحليم عويس: المرجع السابق ، ص 253.

[3] نفسه ، ص254.

4- المكتبات :

اهتمت الدولة الحمادية بإنشاء المكتبات، حيث عرف فيها وجود هذا النوع من المراكز التعليمية الهامة في تلك الفترة، حيث عرفت بجاية مكتبات فقد كان بجامع المنار بالقلعة مكتبة مليئة بالكتب المحمولة من أقطار المغرب، هذا ما يبين لنا اهتمام الحماديين باقتناء الكتب و تجميعها في المكتبات[1].

5- الزوايا :

تعتبر الزوايا من أهم المؤسسات التعليمية التي ساهمت في نشر التعليم لدى المجتمع البجائي، فالزاوية هي ذلك البناء الصغير الذي يشبه المسجد حيث يجمع بين الوظيفة التعليمية التربوية و الدينية ، اهتم بإنشائها أهل الخير و رجال الطرق الصوفية أو كبار رجال الدولة من أموالهم الخاصة فبالإضافة إلى الدور التعليمي الديني فقد كان يعد مكان يأوي المسافرين و يطعمهم[2].

و من الزوايا التي انتشرت في بجاية زوايا المزار و هي التي تثوي قبر ولي من الأولياء الصالحين يقصدها الناس لزيارة و التبرك . كذلك هناك زوايا يتولاها شيخ الزاوية يتم فيها تعليم الطلبة أمور دينهم كما يرددون فيها الذكر و التلاوة[3].

و يرتبط ظهور الزاوية في بجاية بظهور ظاهرة التصوف فأصبحت الزوايا قطبًا يقصدها المتصوفة . حيث عملت على نشر و ترسيخ الفكر الصوفي[4] .

---

[1] عيسى بن الذيب : المرجع السابق ، ص140.

[2] عبد الكريم عزوق : **المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية و نواحيها**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر ،2007-2008 ، ص74 .

[3] محمد محمدي : المرجع السابق، ص 95.

[4] نفسه، ص 96.

أدت الزوايا في حاضرة بجاية أدوارا بارزة و مهمة أهمها الدور التربوي و التعليمي تمثل في استقبال طلاب العلم و المعرفة و نشر التعليم بفضل شيوخها المتمكنين في شتى العلوم ، حيث عملت على تحفيظ القرآن الكريم و نشر اللغة العربية دون إهمال مختلف العلوم الأخرى[1].

في الأخير اعتبرت الزوايا من أهم المؤسسات التعليمية التي ساهمت في نشر التعليم و تعميمه لدى شرائح المجتمع البجائي .

[1] محمد محمدي : المرجع السابق ، ص 98.

المبحث الرابع : أهم العلوم و العلماء في حاضرة بجاية في العهد الحمادي:

عرفت حاضرة بجاية تطورا فكريا أيام الدولة الحمادية فناهضت بذلك الحضارة العربية الإسلامية في المشرق و الأندلس ، فأصبحت المدينة ملتقى لرجال العلم ، حيث نبغ بها علماء اهتموا في القرنين 5-6هـ/ 12-13م، بمختلف العلوم منها (النقلية و العقلية) مما صارت بجاية من أهم الحواضر العلمية بالمغرب الإسلامي يقصدها عدد كبير من العلماء و الشعراء و الفقهاء . كل هذا ساهم في تنشيط الحركة الفكرية و العلمية في مدينة بجاية .

أ-العلوم النقلية :

و يقصد بها علوم الدين ، هذه العلوم التي اهتموا بها ، و تشمل القرآن و السنة من خلال دراسة التفسير و الحديث و الفقه ، و يتجلى هذا الاهتمام من خلال تأسيس المساجد و الزوايا التي كانت المجال الخصب لازدهار هذه العلوم .

الفقه:

شهدت بجاية نهضة فكرية في العلوم الدينية خاصة الفقه ، حيث تعددت تأليف علماء بجاية و دلالة على ذلك ما ذكره الغبريني عن أبي علي المسيلي من أنه قال :« أدركت ببجاية ما ينيف على تسعين مفتيا » [1].

إن التطرق لموضوع الفقه في بلاد المغرب الإسلامي عامة و المغرب الأوسط خاصة يقودنا إلى الحديث عن الفقه المالكي ، الذي انتشر في هذه المنطقة منذ القرن الثاني للهجرة[2]

---

[1] الغبريني : المصدر السابق، ص 36.

[2] نجم الدين الهنتاتي: **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي** ، تبر الزمان، تونس، 2004، ص 42.

رغم تداول العديد من المذاهب على المنطقة من انتشار الخوارج المتمثلة في الصفرية [1] و الإباضية [2]، و بعد ذلك عرف بلاد المغرب الإسلامي الحركة الشيعية[3] و اعتماده كمذهب رسمي للدولة العبيدية في القرن الثاني و الثالث للهجرة[4].

إن التضييق و القمع الذي تعرض له أهل المغرب من قبل العبيديين ، دفع بهم إلى الثورة على هذا المذهب، و كان ذلك في عهد المعز بن باديس[5] الذي حصلت في عهده القطيعة المذهبية بينه و بين العبيديين، و تمكينه للمذهب المالكي[6] في بلاد المغرب[7] .

فكان اعتماد المذهب المالكي كمذهب رسمي للدولة الحمادية ، سببا في إضفاء لونا من الثبات و الوحدة، تحقق ذلك على المستوى العقائدي[8].

---

[1] الصفرية :من أتباع زياد بن الأصفر من أهم مبادئهم عدم تكفير القعدة عن القتال و التمسك بالتقية في القول ، ظهرت بالمغرب بواسطة دعاة أبرزهم عكرمة مولى ابن العباس ،نجحت في تأسيس دولة صفرية هي الدولة المدرارية(أبي عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي :**الفرق بين الفرق**، دار المعرفة ، بيروت ط2،1997 ، ص 94 ؛ موسى لقبال: **المغرب الإسلامي** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ط2،1981، ص158).

[2] الإباضية : تم ذكره سابقا ، ص 14 .

[3] الشيعة :هي أقدم المذاهب السياسية الإسلامية و سموا بذلك نسبة لتشيعهم لعلي"كرم الله وجهه" ، ظهرت هذه الحركة في بلاد المغرب على يد "أبو عبد الله الشيعي" و لهم عدة فرق و التي دخلت بلاد المغرب الإسماعيلية(محمد أبو زهرة : المرجع السابق ، ص 30).

[4] موسى لقبال : نفسه ، ص110.

[5] المعز بن باديس: توفي سنة 454هـ، تولى الحكم سنة 406هـ ، و إليه يرجع الفضل في قطع الدعوة العبيدية سنة 441هـ(ابن الخطيب: المصدر السابق ، ص73)

[6] المذهب المالكي : ينسب إلى مالك بن أنس (إمام دار الهجرة) ولد في المدينة سنة 93هـ و توفي سنة 179هـ، عرف المذهب انتشارا واسعا في بلاد المغرب و تمكن في نفوس المغاربة له كتاب شهير و هو الموطأ(محمد أبو زهرة : نفسه ، ص405).

[7] ابن خلدون: المصدر السابق ، ج6 ، ص205.

[8] عبد الحليم عويس: المرجع السابق ، ص257.

فغدى دراسة الفقه تخصص الأول المفضل في دراسة العلوم النقلية فأصبح المذهب المالكي عنصرا من عناصر التكوين الثقافي لمدينة بجاية فهمَ رجال العلم على نشره و تدريسه و من كبار فقهاء مدينة بجاية في العهد الحمادي نجد:

العالم الجليل **مروان بن علي الأسدي المعروف بالبوني** نسبة إلى مدينة بونة التي استقر بها زمنا طويلا بعد أن صال و جال مشرقا و مغربا، كان حافظا نافذا في الفقه و الحديث، له كتاب مختصر في تفسير الموطأ و هو كثير بأيدي الناس، و توفي سنة 440هـ[1] .

و من العلماء كذلك نذكر **موسى بن حماد الصنهاجي** المتوفى سنة 535هـ/1140م بمراكش عرف عنه أنه كان فقيها تولى القضاء و كان راويا لأبي الفضل يوسف بن محمد المعروف بإبن النحوي ، و غيرهم من العلماء، ومن الفقهاء الذين استقروا في حاضرة الدولة الحمادية **أحمد بن خصيب بن أحمد الأنصاري** الذي ينحدر أصله من مدينة قرطبة الأندلسية فقد ترك هذا الأخير العديد من المصنفات العلمية بالإضافة إلى العالم **عمر بن عبد الله بن زاهر** الذي استقر في مدينة بونة و عرف برواياته عن شيوخ عصره مثل أبي عمران الفاسي الفقيه ، و أبي عبد المالك بن مروان البوني ، و أبي القاسم اسماعيل بن يربوع السبتي و قد توفي سنة 440هـ/1048م[2].

و ظلت الدراسات الفقهية في حاضرة بجاية تزدهر على يد علماء و فقهاء ذاع صيتهم في العهد الموحدي .

التفسير :

---

[1] ابن بشكوال: **الصلة**، تحقيق ابراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، ط1 ، القاهرة ، ج1، ص889؛ الحميدي: **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس** ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، 1966، ص342.

[2] عبد الحليم عويس : المرجع السابق، ص259-260.

جاء اهتمام علماء بجاية بهذا العلم لقيمته الكبيرة في فهم معاني القرآن الكريم ، و قد جاء اهتمام العلماء المغاربة بهذا النوع من العلم بفضل كتب التفسير المشرقية المتداولة في المغرب منها كتاب الوجيز في شرح كتاب الله العزيز لابن عطية(481-542هـ/1074-1147م) و قد نوه ابن خلدون بكتاب الزمخشري بقوله : " أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق"[1] .

و يبدو من خلال كلام ابن خلدون أن تفسير ابن عطية كان أكثر تفاسير شيوعا بين الناس حيث يقول: " و جاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها، و تحرى ما هو أقرب للصحة منها، و وضع ذلك في كتاب لتداول بين أهل المغرب و الأندلس حسن المنحى "[2].

و كان علماء بجاية مقصدا للطلبة من الأندلس و البلاد المغربية الأخرى ، و من بين هؤلاء العلماء محمد بن عيسى بن محمد الغزاري ، أحد طلبة بجاية النجباء الذين اهتموا بالمسائل[3] .

بالإضافة إلى الفقيه و الفيلسوف **أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي** الذي لقب " أبا حامد الغزالي " لأنه تطرق في كتبه إلى كتاب الإحياء و كان كلامه على رأي بعض المؤرخين، أحسن من كلام الغزالي و أسلم، حتى أن كتابه كان كثير الانتشار بين الناس و هذا

---

[1] ابن خلدون :المصدر السابق ، ج1، ص556.

[2] نفسه ، ص555.

[3] القاضي عياض بن موسى بن عياض سبتي: **ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، و تعليق و تقديم محمد بن تاويت ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، الرباط ،ج3 ، ص 445 .

ما هو إلا إعتزاز الناس بصاحبه[1] و الملاحظ أن أبا علي المسيلي كان " قد جمع بين العلم و العمل الورع و بين علم الظاهر و الباطن كما كان تذكرة في أصول علوم الدين[2].

الحديث :

أما فيمن كانت لهم شهرة في علم الحديث نجد أبو محمد عبد الحق الإشبيلي ولد سنة (510هـ) و توفي سنة(582هـ) ارتحل إلى بجاية بعد سنة (550هـ) ألف فيها التأليف و صنف الدواوين و ولي الخطبة و صلاة الجماعة بجامعها الأعظم ، يوصف برأس المحدثين له تأليف جليلة تداولها الناس مثل كتاب " الأحكام الكبرى " في الحديث و " الأحكام الصغرى " و له كتاب العاقبة في علم التذكير[3].

---

[1] عيسى بن الذيب: المرجع السابق، ص131؛ علاوة عمارة: **دراسات في التاريخ الوسيط** ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 112.

[2] الغبريني:المصدر السابق، ص33؛ أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف و تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس، ط1، 1989، ص155.

[3] الغبريني: نفسه ، ص44.

ب . علوم اللغة و أدابها :

عرفت الدولة الحمادية في بجاية طوال القرن الخامس هجري حركة أدبية و علمية نشيطة.

اللغة:

اتخذت الدولة الحمادية اللغة العربية ، لسان الدولة الرسمي ، فأصبحت بذلك لغة التخاطب الأدبي ،على الرغم من أن البلاط الحاكم ذو أصول أمازيغية و الشعب أمازيغي ، إلا أن اللغة العربية عرفت انتشارا و تداولا واسعا باعتبارها لغة القرآن[1] ، فكان ذلك نتيجة لعدة عوامل ساهمت في ازدهار اللغة العربية بهذا القرن الخامس هجري بحواضر بلاد المغرب الإسلامي و لا سيما المغرب الأوسط (بجاية) من أهمها :

أولا الانفتاح الذي عرفته بلاد المغرب الأوسط في العهد الحمادي بالأندلس و إفريقية ،و هجرة أبنائها إليها و كذلك إلى بلاد المشرق.

أما ثانيا فقد لعبت الهجرات العلمية في العالم الإسلامي دورًا كبيرًا في ازدهار الحركة الثقافية ، حتى سميت بجاية بمقصد العلماء من كل حدب و صوب و بما حملوه معهم من علوم و آداب سنشير إلى بعضهم في ذكرنا لأهم العلماء الحاضرة[2].

أما عن أهم عامل عرفته بلاد المغرب الإسلامي ، هو ما يسمى في المصادر التاريخية " بالتغريبة الهلالية " فقد ساهم النازحون الهلاليون بقسط كبير في تعريب بلاد المغرب الإسلامي و قد تجلى تأثيرهم اللغوي في نشر لغة التخاطب بين القبائل البربرية ، و قد كان احتكاكهم الدائم لبعضها كقبيلة زناتة و صنهاجة و غيرها ، عاملا فعالا على تعريبها[3] بذلك

---

[1] عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص263.

[2] رابح بونار: المرجع السابق ، ص283.

[3] عبد الحميد خالدي : المرجع السابق ، ص175.

تحولت الهجرة الهلالية للانتقام من الزيريين لقطع الدعوة العبيدية ، مع ما كان لها من أثار سلبية على بلاد المغرب الإسلامي من " إفساد ، عيث و نهب "[1] من الناحية الاجتماعية و الاقتصادية ، إلا أن في الجانب الثقافي ساهمت هذه الجموع العربية في إضفاء الوحدة في المغرب الإسلامي من خلال أهم عناصر التكوين الثقافي للبلاد ألا و هي اللغة.

الأدب :

و بهذه اللغة العربية قدمت بجاية مجموعة كبيرة من الكتاب و الشعراء و اللغويين ، فقد أخذ الأدب شعرا كان أم نثرا الصدارة في مجال العلوم الأدبية .

النثر :

و من الكتاب الذين كانت لهم شهرة نجد " ابن العالمي البجائي " و كان كاتبا من كتاب الدولة الحمادية ، و هو ناثر يلتزم السجع في رسائله . و بالإضافة لأبي حفص عمر بن فلفول الذي كان كاتبا ليحي بن عبد العزيز الحمادي و إلى جانبه أبو عبد الله محمد بن أبي دفرير[2].

الشعر :

و من بين الشعراء المشهورين في عهد بني حماد ، منهم ابن حمديس و عمر بن فلفول و علي ابن الزيتوني و يوسف بن المبارك و نذكر أهمهم :

يوسف بن المبارك : ذكر أنه من موالي بني حماد ، و له في مدائحهم من الشعر افتخارا لبني حماد[3] .

---

[1] ابن خلدون : المصدر السابق، ج6 ، ص 22.

[2] رابح بونار : المرجع السابق، ص 288-289.

[3] عماد الدين الأصبهاني: **خريدة القصر و جريدة العصر**، قسم شعراء المغرب، تحقيق محمد المرزوقي و آخرون ، الدار التونسية للنشر، ط3، 1986 ، ص 183.

هناكم النصر و نيل النجاح في يومكم هذا بسمر الرماح.

علي بن الزيتوني الشاعر : شاعر المغرب الأوسط و أديبه ، و ألمعيه و أريبه ، و هو صاحب توشيح ، توشيع ، تقصيد و تقطيع[1].

أبو حفص عمر بن فلفول : ذكرناه سابقا ، ككاتبا في عهد العزيز بن المنصور ثم في عهد يحي بن العزيز ، و له عدة أشعار[2] .

أبو محمد عبد الحق الإشبيلي : نزيل بجاية ألف فيها التأليف و بالإضافة لكونه من كبار المحدثين كما رأينا سابقا إلا أنه كان شاعرا أيضا له كتاب مجموع فيه شعره ، كله في الزعد و في أمور الآخرة . و الذي كثر تداوله بين أيدي الناس[3].

ابن أبي المليح الطبيب : كان شاعر له مقطوعات جالبة للحب سالبة للب و له من قصيدة عيدية في الأمير عبد الله بن العزيز الحمادي يصف جنائبه و قضاءه حق العيد و واجبه مطلعها [4] :

و جالت به جرد المذاكي كأنها عذارى و لكن نطقهن تحمحم .

---

[1] الأصبهاني:المصدر السابق ، ص181؛ رشيد بورويبة : **الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي** المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1984،ج3، ص250.

[2] نفسه ، ص 179؛ نفسه: ص 250.

[3] الغبريني: المصدر السابق، ص 43.

[4] العماد الأصبهاني: نفسه، ص184.

و من الذين وفدوا على مدينة بجاية في العهد الحمادي :

ابن حمديس الصقلي أكبر شعراء صقلية(446هـ-527هـ) لما دخل الشاعر بجاية استقبله منصور الحمادي و أغدق عليه صلاته، فمدحه الشاعر بشعره ، و يصف منشآته الفنية الرائعة كقصر اللؤلؤة و هكذا كانت قصائده الوصفية لوحات فنية رائعة [1].

[1] رابح بونار : المرجع السابق، ص344-346.

ج-العلوم الاجتماعية :

التاريخ :

عرفه ابن خلدون " هو ما يوقعنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم و الأنبياء في سيرهم و الملوك في دولهم و سياساتهم "[1].

إلا أن علم التاريخ لم يحظ بعناية كافية من علماء بجاية أيام الدولة الحمادية مثلما حظيت العلوم الدينية و اللغوية، فلم يكتب تاريخ مفصل عن دولة بني حماد في بجاية إلا شذرات نجدها في كتب تاريخ العام كالبيان المغرب لابن عذاري و تاريخ ابن خلدون و أعمال الأعلام لابن الخطيب[2].

إلا أن المؤرخ عبد الحليم عويس يذكر في كتابه بعض المؤرخين الذين ارتبطوا بالدولة الحمادية و نجد منهم أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي مؤلف كتاب هام في تاريخ الصنهاجي " النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة " و حماد بن ابراهيم بن أبي يوسف المخزومي ألف كتابا في التاريخ للأمير الحمادي الثامن العزيز بالله بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد الصنهاجي[3] .

الجغرافيا :

أما عن الجغرافيا فكثيرا ما يرتبط هذا العلم بالرحلات و الصلات التجارية فكان لابد من اهتمام الحماديين بهذا العلم ، و باعتبار بجاية كانت مقصد العلماء من المشرق و الأندلس و كذلك من طرف المغاربة الذين يرحلون من المشرق في رحلات علمية ، فضلا عن رحلة الحج

---

[1] ابن خلدون: المصدر السابق، ص

[2] شوقي ضيف: المرجع السابق، ص107.

[3] عبد الحليم عويس : المرجع السابق، ص269.

فضلا عن المعاملات التجارية بالأندلس و المشرق ، فهذا ما يولد ضرورة الاهتمام بالجغرافيا[1].

د –العلوم التجريبية :

بلغت العلوم العقلية ببجاية مكانة مرموقة جعلت العلماء يقصدونها من مختلف الأنحاء و من ضمن العلوم العقلية نجد الرياضيات و علم الطب مرتبطة بالصيدلة و علم الفلك .

1 –الطب :

و من بين الأطباء الذين ذاع صيتهم في العصر الحمادي ابن أبي المليح الطبيب وذكر أنه طبيب ماهر و اشتهاره بالطب و علي بن الطبيب[2] من أشهر الأطباء في بلاط بني حماد

ذكر الغبريني أن الأبحاث في علم الطب كانت تتم وفق قوانين ، مما جعلها مقصد طلبة العلم و الأطباء من مختلف الأمصار خاصة الأندلس حيث مارس هؤلاء التطبيب في بجاية و ألفوا عدة مؤلفات طبية ، و من أشهر هؤلاء الطبيب " **أبا القاسم محمد بن اندارس** "[3] الذي تبسط للطب طبيبا باحثا جيدا ، له رجز نظم فيه بعض الأدوية ، و يقول عنه الغبريني "

---

[1] عبد الحليم عويس :المرجع السابق، ص270.

[2] العماد الأصبهاني :المصدر السابق، ص184.

[3] هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي المعروف بإبن اندراس هو من أهل مرسية ، ورد على بجاية في عشر الستين و ستمائة مستوطنا،توفي بتونس سنة 674هـ(الغبريني:المصدر السابق ص75).

أنه كان شرع في نظم الأدوية المفردة من القانون "[1] و نبغ في الطب أيضا ابن النباش البجائي و كان ذا عناية بصناعة الطب ذا معرفة جيدة بالعلوم الطبيعية[2].

كما نذكر عمر بن البذوخ أبو جعفر القلعي من أهل قلعة بني حماد كان خبيرا بمعرفة الأدوية المركبة و المفردة و له كتب في الطب منها حواشي على كتاب القانون في الطب إبن سينا[3].

2 . الفلك :

أما فيما يخص الفلك فقد اشتهر " علي بن أبي الوجال التاهرتي " و الذي عرف بأثاره العلمية الكثيرة خاصة كتاب البارع في أحكام النجوم و لقد ترجم هذا الكتاب إلى الإسبانية و اللاتينية و كذلك كتاب الأرجوزة في الأحكام الفلكية[4] .

3 . الرياضيات :

أما فيما يخص علم الرياضيات و هو من بين العلوم التي تبين حقيقة دور بجاية الثقافي و الحضاري ، فقد حظى المسلمون في هذا العلم تطورا ملحوظا في علوم الحساب ، الهندسة الجبر ، الميكانيك و حساب المثلثات ، فنقلوا أصول هذه العلوم من الإغريق و الهنود ثم عكفوا على دراستها و الاستفادة منها[5].

---

[1] الغبريني :المصدر السابق، ص76.

[2] هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خالد البجائي، سكن مرسية من مدن الأندلس مدة ، توفي أواخر القرن الخامس(موفق الدين ابو العباس أحمد ابن أبي اصبيعة:**عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، تحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ج2 ، ص80)

[3] رابح بونار : المرجع السابق، ص278.

[4] نفسه ، ص289 ؛ عبد الحليم عويس: المرجع السابق،ص271.

[5] يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر**، ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ط3، 2009،ص164.

لذا اتسمت بجاية في هذه الفترة المزدهرة من عمر الدولة الحمادية بالتطور الحضاري و الثقافي حتى غدت حاضرة من الحواضر الإسلامية التي يفد عليها الطلبة من كل الأقطار .

و من مظاهر تفوق بجاية في هذا الميدان وجود رواد أروبيون استفادوا من دراسة علم الرياضيات في بجاية منهم الرياضي " ألبيزي لوناردو فيبوناتشي " (1180م) باستدعاء من والده ليقيم فيها[1] ، فاهتم بتعليمه و أوكله لأستاذ يدعى علي البجائي ليعلمه و يثقفه فانكب على دراسة مادة الحساب و الرياضيات بصورة خاصة ، و عاشرة التجار و الحرفيين البجائيين حتى تعلّم و أخذ منهم ما عرف طريقة العد السريعة مستخدما الأرقام الهندية[2].

و محمد بن محمد بن أبي بكر القلعي ، كان عالما بالفقه و الفرائض و الحساب ، توفي ببجاية في عشر الستين و ستمائة [3].

[1] زيغريد هونكه : **شمس العرب تسطع على الغرب** ، ترجمة فاروق بيضون و كمال دسوقي ، دار الجيل بيروت، ط8،1993، ص95-96.

[2] يحي بوعزيز : المرجع السابق ، ص 165.

[3] التنبكتي : المصدر السابق، ص381.

الفصل الثالث

تمهيد:

شهدت تلمسان في العهد الزياني مكانة بارزة ، نافست فيها المدن و العواصم الإسلامية الكبرى في مغرب العالم الإسلامي و مشرقه ، حيث ظلت على مر القرون منارة للإشعاع الفكري و الثقافي على الرغم من الظروف السياسية التي مرت بها الدولة الزيانية خاصة من جارتها الشرقية (الدولة الحفصية) و جارتها الغربية (الدولة المرينية) ، غير أن الحالة السياسية التي شهدتها الدولة الزيانية لم يمنعها أن تكتسب نهضة فكرية رائدة و كذلك حركة تنويرية للعلوم ، فتطورت العلوم النقلية و العقلية و قد برز فيها العديد من العلماء الذين نهضوا بها إلى آفاق الحضارة .

المبحث الأول : لمحة جغرافية و تاريخية عن مدينة تلمسان الزيانية :

أ – لمحة جغرافية :

تلمسان حاضرة لا تقل أهمية عن باقي الحواضر ، و قد ورد ذكرها في العديد من كتب الجغرافية و الرحلة .

فقد ذكرها ياقوت الحموي (ت 626هـ) بكسرتين و سكون الميم و سين مهملة و بعضهم يقول تنمسان بالنون عوض اللام و هي بالمغرب و هما مدينتان متجاورتان مصورتان بينهما رمية حجر إحداهما قديمة و الأخرى حديثة و الحديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب و اسمها تافرزت فيها يسكن الجند و أصحاب الحاكم و أصناف من الناس و اسم القديمة أغادير يسكنها الرعية [1] أما ابن خلدون فيقول بأن تلمسان في زناتة مركب من كلمتين ، تلم سان ، و معناها تجمع اثنين البر والبحر [2] .

أما الزهري (ت القرن 6هـ) فيذكر أن تلمسان مدينة عظيمة فيها عيون كثيرة و مياه غزيرة و هي كثيرة الزرع و لها أعمال عديدة و دار مملكة يعمل فيها من كل شيء بديع [3] و يقول القزويني أن تلمسان هي قرية قديمة بالمغرب و القرية هي التي ذكرها الله تعالى في قصة الخضر و موسى [4] .

الإدريسي أيضا يذكر بأن تلمسان أزلية و لها سور حصين متقن الوثاقة و هي مدينتان في واحدة _ مثلما ذكر ياقوت الحموي _ و يفصل بينهما سور ، و هي مدينة حسنة لرخص

---

[1] ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج2 ، ص44 .

[2] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج7 ، ص 102 .

[3] الزهري : المصدر السابق ، ص 114 .

[4] القزويني : المصدر السابق ، ص 172 .

أسعارها و نفاق أشغالها و مرابح تجارتها و لم يكن في بلاد المغرب بعد مدينة أغمات [1] و فاس [2] أكثر من أهلها أموالا و لا أرفه منهم حالا [3] .

أما أبي الفدا فيذكر أن تلمسان مدينة مشهورة مسورة في سفح جبل و لها ثلاث عشر بابا و ماؤها مجلوب من عين على ستة أميال منها ، و في خارجها أنهار و أشجار ، و هي قاعدة مملكة و لها حصون كثيرة أشهرها هنين [4] و وهران [5] و ملوك تلمسان من بني عبد الواد [6] من زناتة [7] .

و تلمسان في كتاب الاستبصار لصاحبه (ق 6هـ) أنها مدينة عظيمة قديمة فيها أثار كثيرة أزلية تنبئ أنها دار مملكة لأمم سالفة ، و تذكر المصادر السابقة أنها من قبيلة زناتة و حواليها قبائل أخرى من البربر ، فهي كثيرة الخصب ، رخيصة الأسعار كثيرة الخيرات و النعم [8] .

---

[1] أغمات : ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش ، و هي مدينتان متقابلتان كثيرة الخير و من ورائها إلى جهة البحر المحيط السوس الأقصى بأربع مراحل (ياقوت الحموي : المصدر السابق ج1 ، ص 225) .

[2] فاس : مدينة عظيمة محدثة ، قاعدة المغرب ، أسست في عهد إدريس بن إدريس ، و لم تزل منذ تأسيسها دار علم و معرفة (الحميري : المصدر السابق ، ص 434-435) .

[3] الإدريسي : المصدر السابق ، ص 100-101 .

[4] هنين : ناحية من سواحل تلمسان من أرض المغرب (ياقوت الحموي : نفسه ، ج5 ، ص 419) .

[5] وهران : مدينة على ضفة البحر ، بناها جماعة من الأندلسيين سكانها قبائل من البربر يقال لهم بنو مسكين (مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص 133) .

[6] بني عبد الواد : أطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى جدهم الذي كان يتعبد مترهبا في وادي ، فأطلق عليه لقب عابد الوادي ، كما كان لهم تاريخ عظيم في الفتوحات الإسلامية (يحي ابن خلدون : **بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد** ، الجزائر ، 1903 ، ج1 ، ص 186 ؛ عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج7 ، ص 59) .

[7] أبي الفدا : المصدر السابق ، ص 137 .

[8] مؤلف مجهول : نفسه ، ص 179 .

و مدينة تلمسان العظيمة جاءت على لسان العبدري (ت نحو سنة 720هـ) الذي يذكر بأنها مدينة كبيرة سهلية جبلية ، جميلة المنظر مقسومة بإثنتين بينهما سور و لها جامع عجيب مليح متسع و بها أسواق قائمة و أهلها ذو ليانة ، و هذه المدينة بالجملة ذات منظر و مخبر و أقطار متسعة و مبانيها مرتفعة [1] .

أما عن موقعها الجغرافي فتقع مدينة تلمسان في الإقليم الغربي[2] .

أما عن طقسها فهي كثيرة البرد و الثلج في زمن الشتاء [3] و مدينة تلمسان مدينة علم و خير و لم تزل دار العلماء و المحدثين [4] .

أما المؤرخ الجغرافي المتأخر حسن الوزان (ت 944هـ) فيذكر أن تلمسان حكمها أمير ذو شأن كبير يسمى ايغمراسن بن زيان و ورثه عنه أحفاده ، و لها ميناءان مشهوران جدا و هما وهران و ميناء المرسى الكبير يتوافدون عليهما تجار من جنوة و البندقية و أما عن أرضها فهي أماكن زاهرة و البقعة خصبة [5] .

و خلاصة القول أن تلمسان عامرة آهلة بالسكان و موقعها المهم جعل منها محل أنظار و طمع الأعداء فيها [6].

---

[1] العبدري : المصدر السابق ، ص 27-28 .

[2] محمد الطمار : **تلمسان عبر العصور و دورها في سياسة و حضارة الجزائر** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 ، ص 11 .

[3] الزهري : المصدر السابق ، ص 114 .

[4] مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص 188 .

[5] الوزان : المصدر السابق ، ص 7-10 .

[6] أنظر ملحق رقم 6 .

ب- لمحة تاريخية :

تعتبر مدينة تلمسان من أعظم مدن المغرب الأوسط ، وقد مرت بمراحل تاريخية كثيرة كغيرها من باقي مدن العالم .

كما شهدت حركة ثقافية حضارية و حتى عمرانية عظيمة ، و أول من بناها الرومان و كانت تسمى بوماريا [1] ، و كذلك تدعى تلمسان "مدينة الجدار" أو " الجدار" فقط أي الحائط و يعنون بذلك أنها مسورة أي محاطة بالأسوار ، مما يدل على قدمها لقلة المدن المسورة في العهد القديم خصوصا بالمغرب ، و الجدار هو الذي ذكر بالقرآن الكريم في سورة الكهف قال تعالى : " **فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا** " [2] ، في قصة الخضر و موسى عليهما السلام [3] و يذكر أيضا ابن خلدون أن تلمسان هذه المدينة هي قاعدة المغرب الأوسط و أم بلاد زناتة إختطها بنو يفرن و ما يزعم بعض العامة من ساكنها أنها أزلية البناء [4] .

و دراستنا عن تلمسان في العهد الزياني (633هـ-962هـ/ 1235 م-1554م) و يعود بنو عبد الواد إلى قبيلة زناتة كما أشرنا . و الدليل التاريخي على ظهورها في مسرح الأحداث التاريخية في بلاد المغرب الأوسط هو أن معركة العقاب (609هـ/1212م) [5] و التي تعتبر

---

[1] جورج مارسي : **مدن الفن الشهيرة تلمسان** ، ترجمة سعيد دحماني ، دار النشر التل ، البليدة ، 2004 ص 8 .

[2] سورة الكهف ، الآية "77" .

[3] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج7 ، ص 102 .

[4] نفسه ، ص 102 .

[5] معركة العقاب : هي معركة قامت بين ملوك الإسبان النصارى و بين ملوك الموحدين انتهت بهزيمة الموحدين و بهذا سقطت الأندلس من حكم الموحدين و نتج عنهم خسائر بشرية و مادية كثيرة (عبد الرحمن ابن خلدون : نفسه ، ج6 ، ص331) .

من أهم العوامل التي أدت إلى تفكك الدولة الموحدية و تصدع الصرح الذي شده عبد المؤمن و من خلفه من كبار هذه الدولة و من العوامل التي أضعفتها أيضا هو الصراع حول الحكم خاصة مع مجيء حكام ضعاف و بهذا كان نفوذ السلطة الموحدية قد ضعف و تلاشى شيئا فشيئا و لم يبقى إلا في تلمسان[1] .

كان يحكم قبيلة عبد الواد أيام الدولة الموحدية جابر بن يوسف و هو عم ايغمراسن فدخل هذا الأخير تلمسان و أعلن الدعوة للمأمون الخليفة الموحدي و بعث إليه معلنا طاعته فعهد له المأمون بتسيير أمور تلمسان و ما يليها من بلاد زناتة و كان ذلك عام (627هـ-1229م)[2] .

و هذه هي اللبنة الأولى من تأسيس دولة بني عبد الواد المستقلة إذ قال صاحب كتاب بغية الرواد : " إذ أن تلمسان أصبحت في مطلع شمسها و فاتحة فرقانها " [3] .

ثم آلت الإمارة بعد وفاة جابر إلى ابنه الحسن (629هـ) فأخيه عثمان (630-631هـ) ثم إلى ابن عمه زيدان بن زيان (631-633هـ) ، ثم إلى ايغمراسن (633هـ-1236م)[4] .

و قد ذكر ابن خلدون في كتابه العبر : " بأنه أشد هذا الحي بأسا و أعظمهم في النفوس مهابة و إجلالا و أعرفهم بمصالح قبيلته[5] .

---

[1] عبد الحميد حاجيات : **أبو حمو موسى الزياني حياته و أثاره** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، ط2 ، 1982 ، ص 11.

[2] بوزياني الدراجي : **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1993 ، ص 25 .

[3] يحي ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 16 .

[4] عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ، ص 13 .

[5] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج7 ، ص16 .

فقد جعل من تلمسان قاعدة إمارة التي أخذ يوسع رقعتها على حساب الحامية الموحدية الضعيفة [1] .

كما مرت بأدوار تاريخية هامة ، ففي الدور الأول كانت ضعيفة و ذلك لأن :

موقعها الجغرافي كان وسطا بين دولتين هما الحفصية و المرينية فكان حالها كالمحصور بين شقي الرحى ، و قلة الأنصار في بداية عهدها [2] .

ودام الطور الأول مائة و أربعة سنوات أي من (633هـ-1235م) إلى(737هـ-1336م) من تاريخ قيام الدولة إلى سنة سقوط تلمسان في قبضة الحسن المريني وقتله للسلطان العبد الوادي أبي تاشقين عبد الرحمن بن أبي حمو موسى الأول[3] .

والدور الثاني كانت الفترة الزمنية قصيرة جدا ودامت أربعة سنوات أي من سنة 749هـ- 753هـ و لكنها فترة جديرة بها و لأنه يختلف عن الدور الأول في كونه بدأ بعد فترة جديرة بها و لأنه يختلف عن الدور الأول في كونه بدأ بعد فترة زمنية دامت تسع سنوات انمحت خلالها دولة بني زيان و أيضا تمتاز بالاستقلال التام عن نفوذ الدولتين الحفصية و المرينية [4] .

أما الدور الثالث و هو دور الأبهة و السلطان المطلق و يعتبر بمثابة الذورة من حيث النظم و السيادة المطلقة و لقد بذل الحاكم أبو حمو الثاني خلال هذا الدور طاقة جبارة وهذا كي يجعل من دولته منارة للعلم و الفن و الأدب في المغرب الإسلامي و الاهتمام بشؤون

---

[1] محمد الطمار : المرجع السابق ، ص 84 .

[2] بوزياني الدراجي :المرجع السابق ، ص 26 .

[3] محمد الطمار: نفسه ، ص 126 .

[4] بوزياني الدراجي : نفسه، ص34 .

الدولة السياسية و خاصة الجيش و بهذا كانت حياته حافلة بالحروب و قد قتل في معركة بنيه و بين بني مرين و حليفهم أبي تاشفين بن عبد الرحمن ابنه العاق [1] .

و أخيرا الطور الرابع طور الانحدار و السقوط و دام 171 سنة أي من سنة 791هـ-962هـ و يظهر لنا ضعف هذا الطور من خلال سياسة الحكام الفاسدة ووصول حكام ضعاف إلى الحكم كان همهم هو السلطة و المال زد إلى الانشقاقات العائلية و التي كانت العدو الأكبر لدولة بني عبد الواد [2] .

وبهذا فالملاحظ لتاريخ دولة بني زيان يلاحظ أن موقعها الجغرافي رغم أنه إستراتيجي إلا أنه كان عائق بحيث كانت تلمسان تتوسط بلاد المغرب الإسلامي و جيرانها الأعداء كانوا ينهبون من أراضيها.

و رغم ذلك ، كانت تلمسان في العهد الزياني من أرقى العصور من حيث الثقافة و العلم و أيضا العمران و قد وصفها ابن خلدون و قال : " فاختطوا بها القصور المونقة و المنازل الجميلة و إغترسوا الرياض و البساتين و اجروا خلالها المياه ، فأصبحت أعظم أمصار المغرب و رحل إليها الناس من القاصية و نفقت بها أسواق العلوم و الصنائع ، فنشأ بها العلماء و اشتهر بها الإعلام و ضاهت أمصار الدول الإسلامية " [3] .

و ليتولى حكمها بعض الحكام العظام الذين أرادوا لتلمسان أن تكون حاضرة تفوق حواضر المغرب الإسلامي و الأندلس [4] .

---

[1] عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ، ص 159- 189 .

[2] ابن الأحمر: **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان** ، تقديم هاني سلامة ، مكتبة الثقافية الدينية ، مصر ، ط1 2001 ، ص70.

[3] يحي ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 92 .

[4] أنظر جدول حكام الزيانيين في الملحق رقم 3 .

المبحث الثاني: دور الحكام في بناء الحياة الفكرية في تلمسان الزيانية

شهدت مدينة تلمسان حركة فكرية لا مثيل لها خاصة في العهد الزياني فهي حاضرة من حواضر المغرب الأوسط التي نالت شهرة كبيرة ، فهي تعد واحدة من المراكز التي تشع ببريق العلم و المعرفة ، كما لعبت دورا في إحياء العلوم و انتشارها فقد نبغ عدد من العلماء و الفقهاء و بما أن تلمسان الزيانية لها علاقات مع جيرانها فان الرحلة العلمية ظهرت بشكل ملحوظ في هذه الحاضرة .

إن الدارس للحركة الثقافية بمدينة تلمسان يستنبط أن هناك مجموعة من العوامل المساعدة على إحيائها و الأستاذ عبد العزيز فيلالي يذكر بأن مدينة تلمسان في العهد الزياني عرفت ازدهارا ثقافيا ملحوظا و نهضة أدبية كبيرة كما وصف الباحثون هذه النهضة بصفات شتى منها الازدهار الثقافي و النشاط العلمي و الحركة الفكرية و أيضا لنبوغ الأدبي[1] .

ومن العوامل المساعدة هي عناية الملوك الزيانيين بالعلم و المعرفة فقد كان معظم الحكام يولون اهتماما بالغا بالجانب الثقافي فحرصوا على بناء المدارس و جلبوا إليها أكابر العلماء للتدريس بها و الإنفاق على طلبتها [2] .

النزعة العلمية الثقافية التي تميز بها سلاطين و أمراء بني زيان الذين كانوا لهم إرادة قوية و رغبة شديدة و جهود مستمرة في الاعتناء بالحركة الفكرية في ميدان الفنون و الآداب

---

[1] عبد العزيز فيلالي : **تلمسان في العهد الزياني** ، موفم للنشر ، الجزائر،2007 ، ج2 ، ص317 .

[2] عبد القادر بوحسون : **العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس خلال العهد الزياني (633هـ-962هـ-1235م-1554م)** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، الجزائر،2007 -2008، ص19 .

و العلوم الشرعية على وجه الخصوص و هذا ما يجعلهم يشجعون العلماء و الفقهاء و لا سيما منها العدوة الأندلسية [1] .

و بهذا كان أمراء بن زيان من العلماء و الفقهاء الأجلاء و أولهم الحكام ايغمراسن (633-681هـ/ 1236-1283م) فهو أول من عمل على تشجيع الحركة الثقافية و التعليمية بمدينة تلمسان فحرص على استقدام رجال العلم إلى عاصمته و شجعهم على التدريس و التأليف بعد إعلاء مراتبهم كما أغدق عليهم الأموال و الهدايا فاستقر في عهده بعاصمة تلمسان الشيخ العالم أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي كبير علماء زمانه [2] حتى أن الحكام خرج إليه بنفسه ويقول التنسي عن هذا اللقاء: " ماجئتك إلا راغبا منك أن تنقل إلى بلدنا تنشر فيها العلم وعلينا جميع ما تحتاج " [3] .

و هذا السلطان ايغمراسن يكنى أبا يحي بن زيان فقد كان آية من ايات في رجوليته و جراته و جزالته و دهاءه و مواقفه لأعدائه [4] .

كما انه اهتم بشؤون العلماء و اغدق عليهم الأموال و الهدايا و الجرايات بل وحتى كانت المنافسة بين السلاطين في اختيار كبار الكتبة و الأدباء و الفقهاء و إدراجهم في المجالس العلمية و الدواوين[5] .

---

[1] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص319 .

[2] عيسى بن الذيب : المرجع السابق ، ص 147 .

[3] محمد بن عبد الله التنسي: **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**، تحقيق وتعليق محمود آغا بوعياد، موفم للنشر الجزائر ، 2011. ص126.

[4] محمود مقديش : **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار** ، تحقيق علي الزواري و محمد محفوظ دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، ط1 ،1988، مج 1 ، ص533 .

[5] عبد العزيز فيلالي : نفسه ، ص321

ويقول ابن خلدون عن الحاكم ايغمراسن بن زيان انه اشد هذا الحي بأسا وأعظمهم في النفوس مهابة و أجلالا واعرفهم بمصالح قبيلته و أقوالهم كاهلا على حمل الملك و اضطلاعا بالتدبير و الرياسة تولى أمر تلمسان و ادخل جميع القبائل تحت سلطانه بأحسن السيرة في الرعية و استمالهم [1] .

وهذا دليل على حرص ايغمراسن على نشر العلم و المعرفة في أرجاء تلمسان على يد أورع و اتقى العلماء.

وكان ايغمراسن شديد العناية يقرب العلماء و يشجع الأدباء فكان يدخل المسجد الجامع لسماع الدروس التي كان الشيوخ يلقونها على الطلبة و لا سيما دروس التنسي[2] .

ليتولى من بعده ابنه عثمان بن ايغمراسن(681هـ-703هـ/1283- 1303م) وكان هو الآخر شديد الاعتناء بالعلم و العلماء فكان مجلسه يضم الكثير منهم [3] .

أما ابن الأحمر في كتابه تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان فيذكر أن عثمان بويع بعد موت أبيه و كان نهبة لسيوف بني مرين لأبيه ايغمراسن [4] .

أما ابن خلدون فيذكر أنه تولى بعد أبيه فبايعه العامة و الخاصة و أعطوه صفقة إيمانهم[5]

ونحى منحى والده في تشجيع ذوي العلم و الفقه فاحتفظ بمن كان في بلاط أبيه من العلماء .

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ،ج 7، ص102 -106

[2] محمد الطمار: المرجع السابق ، ص98.

[3] عبد القادر بوحسون : المرجع السابق ، ص19 .

[4] ابن الأحمر : المصدر السابق ، ص68 .

[5] عبد الرحمن ابن خلدون ، نفسه ، ص 122 .

و الفقهاء و الأدباء[1] كما أن هذا السلطان أوصاه والده بالسلم مع المرنيين [2].

أما السلطان أبي حمو موسى الأول 707هـ-718هـ فكان مشهورا بالحزم و الشجاعة و الاقدام و التقوى و حب العلم و في أيامه حضيت الدولة بمسالمة بني مرين فأمنت من خطر الحروب و الغارات و استعادت قوتها و بهجتها [3] فقد كان يهتم بالجانب الثقافي ويجتهد في استقدام العلماء [4] .

فلما ورد عليه ابن الإمام [5] احتفل بهما و بنى لهما مدرسة سميت باسمهما كما كان يكثر من مجالستهما[6] .

كما يذكر عبد العزيز فيلالي أن الحاكم أبي حمو موسى الأول جعل مدينة تلمسان منارة للعلم يقصدها العلماء و أهل الفكر وقرب إليه عدد من العلماء الأجلاء و أراد لعاصمته أن تضاهي فاس و تونس و غرناطة في المجال الحضاري[7] .

كما أن الحياة الفكرية في عهده عرفت ازدهارا بحيث كان لانتشار العلم في المدارس و الزوايا و المساجد وفي مختلف الأطوار كما كان الطلبة يتوافدون من تلمسان و إلى تلمسان من كل

---

[1] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص321 .

[2] محمد الطمار: المرجع السابق ، ص102 .

[3] عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ، ص 16 .

[4] عبد القادر بوحسون : المرجع السابق ، ص20 .

[5] ابني الإمام : و هما أبي زيد عبد الرحمن المتوفى سنة (743هـ) و أبو موسى عيسى بن محمد(توفي سنة 748هـ) (يحي ابن خلدون : المصدر السابق ، ص130) .

[6] التنسي : المصدر السابق ، ص 139.

[7] عبد العزيز فيلالي : نفسه ، ص321-322 .

حدب و صوب و أيضا أمر أبو حمو موسى الأول بناء مدرسة و في تلمسان و تعد هي الأولى التي بناها وأسسها بنو عبد الواد[1] .

كما جاء على لسان المؤرخ يحي ابن خلدون أن الحاكم أبي حمو الأول هو السلطان المفرج لشدة و مقاتل بسيفه لأهل الردة الذي عمل الحق ثم دوخ الشرق و سلك الإنجاد و الأغوار و شيد الأسوار [2] .

كما عمل الحاكم أبو تاشفين عام (718هـ-737هـ) على تقريب العلماء إليه فهو ملك تبجح في الأصالة و الجلالة [3] ، وهو أيضا واصل في الاعتناء بالعلم فبني مدرسة سميت باسمه (المدرسة التاشفنية) و كان يحرص على حضور مجالس العلم كمجلس ابني الإمام ووفد إليه عدد من العلماء و أكرمهم [4] .

وهذه المدرسة التي بناها كانت غاية في الجمال الإبداعي وعين الحاكم عليها مدرسين أمثال أبي موسى المشدالي وذلك لينتشر العلم و الأدب في عاصمته التي كان يريد أن تضاهي تونس و فاس و غرناطة وذلك لا في الميدان الثقافي فحسب بل في الفن المعماري أيضا [5] .

وبما أننا ندرس دور الحكام في بناء الحياة الفكرية في مدينة تلمسان الزيانية فيجدر بنا التكلم عن الحاكم أبي الحسن المريني الذي استولى على تلمسان و المغرب الأوسط سنة 737هـ فكان مشجعا هو الآخر للعلم و العلماء فكان مجلسهم حافلا بهم[6] .

---

[1] عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ، ص36 .

[2] يحي ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 126-127 .

[3] نفسه ، ص132 .

[4] عبد القادر بوحسون : المرجع السابق، ص20 .

[5] محمد الطمار: المرجع السابق ، ص132-133 .

[6] محمد بن تاويت الطنجي : **رحلة ابن خلدون** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2004، ص58 .

كما انشأ مدرسة العباد سنة(748هـ-1348م) فجلب لها أساتذة و أجرى على طلابها المنح و الأرزاق واقتدى ابنه أبو عنان به في تشييد المدارس و المؤسسات العمومية [1] .

و من الحكام الزيانيين الذين كان لهم أثر إيجابي على النشاط العلمي منهم الحاكم العالم الفقيه أبي حمو موسى الثاني و الذي لا تنفك جميع الكتب في التحدث عنه فقد برع في الأدب و فن القصيدة حيث كان يقرض الشعر ويحب أهله و له تأليف حسنة في السياسة كما قام بتلخيص كتاب بعنوان "سلوان المطاع" لابن ظفر وزاد عليه فوائد و سماه "نظم السلوك في سياسة الملوك" [2] ، أما عن الحياة الفكرية في عهده كانت نفسها في عهد سابقيه بحيث كان يعتني بالعلم وأهله كما امتاز بإلمامه للعلوم كما كان مستعدا للمساهمة في النشاط الأدبي و نظم الشعر فحظي العلماء و الطلبة بعطفه و تشجيعه ونال الكتاب و الشعراء من عطاءه و كرمه [3] .

وبهذا كانت تلمسان في عهده بفضل علماءها و مدارسها مركزا علميا ثقافيا هاما و بلد إشعاع حضاري يضاهي أهم مراكز المغرب الثقافية ، و الملاحظ أن السلطان أبي حمو الثاني (723هـ-791هـ-1322م-1389م) جلس على العرش من سنة 760هـ إلى غاية 791هـ وهي فترة طويلة تدل على حسن تبصره و مدى حنكته السياسية أيضا بالإضافة إلى اهتمامه بالشؤون الثقافته و اشتهرت تلمسان بتنوع العلوم الفكرية و الأدبية و بلغت أوجها و رقيها أكثر من أي عصر من عصور الدولة الزيانية فقد كان السلطان نفسه من أهل العلم و المعرفة كما أسس خزانة يجمع فيها الكتب [4] .

---

[1] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص322 .

[2] شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني : **أزهار الرياض في أخبار عياض** ، تحقيق مصطفى سقا و آخرون ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة ، 1939 ، ص238-249 .

[3] عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق، ص159 .

[4] محمد الطمار : المرجع السابق، ص210-211 .

و أيضا كانت له ليالي المولد النبوي الشريف من الليالي المشهودة ووصفه المؤرخين على أنه كان طالب للعلم في صغره معتنيا به في كبره مكرما للعلماء في أيام دولته مجلا لهم و أنه تمسك بالعلم في سماء المعالي[1] و الكتاب الذي ألفه وذكرناه سابقا كان توصية لولى عهده أبي تاشفين الثاني والحكام من بعده [2] .

وذكرنا أنه كان مولعا بفن القصيدة بحيث كانت له قصائد الرسول(ص) ومما قال نذكر:

قفا بين إرجاء القبابو بالحي وفي ديار للحبيب بها حي

وعرج على نجد و سلع و رامة وسائل فدتك النفس في الحي عزمي[3] .

وبهذا نبغ في عهده فحول النظار و أجلة العلماء و الكتاب و بنى هو الآخر مدرسة إلى جانب أضرحة والده أبي يعقوب بتلمسان وسماها المدرسة اليعقوبية [4] .

و لا ننسى بالذكر الحاكم أبو زيان محمد الثاني(796هـ-801هـ/1394م-1399م) و الذي شجع على التأليف و نسخ الكتب و اقتناءها و حبسها بخزانته التي شيدها بالجامع الأعظم بتلمسان [5] .

كما اهتم بالمناظرات العلمية بين العلماء و اهتم أن تجري داخل قصره ، فكان هو الآخر كسابقه يجل العلم فقد ذكره التنسي بقوله: « كلف بالعلم حتى صار منهج لسانه و روضة أجفانه فلم تخل حضرته من مناظرة و لا عمدت إلا بمذاكرة و محاضرة » كما نسخ بيده نسخا

---

[1] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص323 .

[2] عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ، ص189 .

[3] التنسي : المصدر السابق ، ص164 .

[4] نفسه ، ص179 .

[5] عبد العزيز فيلالي : نفسه، ص323.

من القرآن الكريم و نسخة من صحيح البخاري كما كان له كتاب تحت عنوان كتاب« الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة و النفس الأمارة» [1] .

وبهذا حرص احكام الزيانيين على إقامة مجالس العلم لتفقه وتعلم الطلبة وهنا ذكرنا بعض الحكام و ليس كلهم و خاصة الذين طبع التاريخ أسماءهم في المجال الفكري الثقافي[2].

[1] التنسي : المصدر السابق ، ص 211 .

[2] ملحق رقم 3 ، حكام الزيانيين .

المبحث 3: المراكز التعليمية :

تعد المراكز التعليمية من أهم مظاهر الازدهار الثقافي في مدينة تلمسان ، باعتبارها حاملة لمختلف العلوم وجالبة العلماء وطالبي العلم.

فقد عرفت حاضرة تلمسان كغيرها من حواضر المغرب الإسلامي المؤسسات المتداولة لطلب العلم كالمساجد والكتاتيب والمكتبات إلا أن في العهد الزياني ظهرت مؤسسة أخرى عرفت انتشارا واسعا ألا وهي المدارس.

1- المساجد:

لقد تحدثنا فيما سبق عن المسجد ودوره الفعال في مختلف مجالات الحياة منها السياسية والاجتماعية والدينية للدولة الإسلامية وكيف كانت هذه المؤسسة التعليمية تحظى بحظ وافر من العناية و الاهتمام من قبل الحكام والعلماء والطلبة .

اشتهرت تلمسان بعدة مساجد أدت دورا كبيرا في نشاط الحياة الثقافية التي بنيت في عهود مختلفة في العهد الإدريسي و المرابطي[1] .

ومن أهمها مسجد أغادير الذي بناه إدريس الأول ، مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى فبعدما غزا إدريس الأول تلمسان واختط مسجدها ، وصنع منبره الذي كان مكتوب عليه « هذا ما مر به الإمام إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم في شهر المحرم سنة تسع وستين ومائة »[2] .

---

[1] رشيد بورويبة :« **جولة عبر مساجد تلمسان** »، مجلة الأصالة ، العدد26 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، تلمسان ،2011 ، ص 17 .

[2] ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 50

أما صومعتة فبناها يغمراسن بن زيان الذي استأذن في كتابه اسمه عليه ، فقال« علم ذلك عند ربي »[1] وذلك من أهم مساجد المغرب الأوسط ، المسجد الجامع أو الأعظم بتلمسان بناه يوسف بن تاشيفن المرابطي سنة 473هـ/1080م، وعدله ابنه علي بن يوسف سنة 530هـ/1335م، وهو عبارة عن تحفة فنية رائعة ،عليه مسحة أندلسية [2].

وقد أضيفت له زيادات عديدة ،كالصومعة في عهد يغمراسن بين 665هـ و 668هـ[3]، وكان لهذا المسجد دورا كبيرا في تنشيط الحياة العلمية بالمغرب الأوسط في عهد بن زيان.

كما كانت هناك مساجد أخرى كمسجد ابني الإمام الذي بناه أبو حمو موسى الأول ومسجد إبراهيم المصمودي الذي قام بتأسيسه أبو حمو موسى الثاني[4] .

كما أنشا أبو الحسن المريني عدة مساجد كجامع القصبة الذي قال فيه ابن مرزوق الخطيب (ت 781هـ/ 1379م) أنه كان يشتمل على محاسن لم تجتمع في مثله ، من حسن وضعه وجمال شكله ، وجامع سيدي مدين (جامع العباد) الذي اتصف هو الأخر بالحسن [5].

و إضافة إلى هذه المساجد، كانت هناك مساجد أخرى كثيرة ، أدت أدوارا هامة في المجال الثقافي والعلمي ، حتى أن بعض المؤرخين يذكرون أنه كان بمدينة تلمسان وحدها حوالي ستين مسجدا[6] .

---

[1] يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ص 207 ؛ التنسي: المصدر السابق ، ص 125.

[2] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ،ج1، ص 146.

[3] التنسي: نفسه ، ص 126، أنظر الملحق رقم7 .

[4] عبد العزيز فيلالي: نفسه ،ج1، ص 147.

[5] محمد بن مرزوق التلمساني : **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن** ، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ، تقديم محمود بوعياد ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر، 1981 ص 402 –403 .

[6] عبد العزيز فيلالي : نفسه ،ج1، ص 148 .

وفي هذه المساجد تبدأ المرحلة الثانية من التعليم التي تلي مرحلة الكتاب ، فبعد ما يكون الطالب قد حفظ القرآن ومبادئه ، تأتي مرحلة تخصص الطالب في علم معين على يد شيوخ وعلماء بارزين ، ففي هذه المرحلة للطلبة الحرية في اختيار مواد الدراسة والأساتذة ، مع التأكيد على تفضيل مادة الفقه عن غيرها من المواد ما يؤكد على ذلك الونشريسي بقوله:« من لا يعرف الفقه لا يعرف غيره » [1] ، كما كان للتوجه المذهبي والسياسي للدولة دور في تحديد مضمون البرامج الخاصة ، فقد تدخل الأمراء الزيانيون أحيانا لمنع تدريس بعض العلوم التي تخالف المذهب المالكي [2] .

فإن المواد المدروسة عمليا في المساجد التلمسانية ، موزعة بين مختلف العلوم من علوم دينية وعقلية وطبيعية .

كما اهتم الحكام الزيانيون بالبحث وجلب مدرسين أكفاء ومحاولة استقطابهم للتدريس بمساجدها، فقط طلب الحاكم "يغمراسن" من العالم أبي إسحاق بن يخلف التنسي سنة 680هـ القدوم والتدريس بالجامع الأعظم وكان يذهب بنفسه لحضور دروسه في الجامع الأعظم وكذلك محاولة أبا حمو موسى الثاني باستقدام العلامة ابن خلدون[3] .

---

[1] أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي : **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس والمغرب**، اشراف محمد حجي ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ،1981 ج8 ، ص 252.

[2] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ،ج1، ص 344-335.

[3] بسام كامل عبد الرزاق شقدان: **تلمسان في العهد الزياني (633-962 هـ)** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، 2006 ، ص225-226 .

2- الكتاتيب :

كان المكْتبْ أو الكُتَابْ [1] ، أهم المؤسسات التعليمية التي يتلقى فيها الصبي مبادئ العلوم وبخاصة حفظ القران الكريم.

كان الكُتَاب أول أمره مكانا في المسجد في زاوية من زواياه ، وبعد ذلك انفصل في أماكن مستقلة ، فقد كره كثير من الفقهاء تعليم الصبيان في المساجد[2] .

يرى ابن سحنون أن مواد الدراسة الأساسية تشمل إعراب القرآن والشكل والهجاء ، والخط الحسن ، القراءة الحسنة ، ترتيل القرآن ، ومواد إضافية تشمل الحساب والشعر والعربية وكلام العرب و أخبارهم[3] ، إلا أن أهم مواد الدراسة بالكُتَابْ هو القرآن الكريم ، وقد علق ابن خلدون على ذلك بقوله: « هو مذهب حسن ، إلا أن العوائد لا تساعد عليه وهي أملك الأحوال و وجه ما اختصت به العوائد من تقديم القرآن، ... وخشية ما يعرض للولد من جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم فيفوته القرآن ... فربما عصفت به رياح الشبية ، فألقته بساحل البطالة فيغتنمون في زمان الحجر وربقة الحكم تحصيل القرآن له ، لئلا يذهب خلوًا منه ، ولو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم وقبوله التعليم ، لكان هذا هو المذهب ... أول ما اخذ به أهل المغرب » [4] .

و أفادت إحدى الأبحاث أن هذه الطريقة كانت سائدة في العهد الزياني منذ القرن الثامن هجري /الرابع عشر ميلادي ، ولكنها تغيرت بوصول علماء الاندلس إليها واستقرارهم فيها وامتهانهم التعليم[5] ، ذلك أن أهل الأندلس :« أفادهم التفنن في التعليم و كثرة رواية الشعر

---

[1] سبق التعريف به في ص 61 .

[2] الونشريسي :المصدر السابق ، ج7 ، ص 83 .

[3] محمد بن سحنون : المصدر السابق .ص 102.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج1 ، ص 742-743.

[5] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ،ج2 ، ص 346.

و الترسل ، و مدارسة العربية من أول العمر ، حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي ، و قصروا في سائر العلوم ، لبعدهم عن مدارسة القرآن و الحديث الذي هو أصل العلوم و أساسها ، فكانوا كذلك أهل خط و أدب بارع أو مقصر ، على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبَا »[1] .

فصار المغاربة يعلمون الأطفال في الكُتَاب رواية الشعر و الترسُل و قوانين اللغة العربية النحو و الحساب ، إلى جانب القرآن و الحديث[2] .

و بذلك يدخل الصبيان مرحلة جديدة مختلفة كل الاختلاف في مناهجها و موادها التعليمية عن مرحلة الكتاب .

3- الزوايا :

الزاوية في الأصل ركن البناء ، و يطلق مصطلح الزاوية على بناء أو طائفة من الأبنية ذات طابع ديني ، حيث تتميز بأنها ذات طابع ديني و ثقافي و اجتماعي إذ تحتوي على غرفة للصلاة ، و غرفة لتلاوة القرآن و تحفيظه ، و غرف مخصصة لضيوف الزاوية و للحجاج و للمسافرين و الطلبة[3] .

فقد لعبت الزوايا دورا لا يقل أهمية عن باقي المؤسسات التعليمية الأخرى في تنشيط الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط و نظرا لدوره الكبير في مجال التعليم فقد حظيت باهتمام كبير من قبل حكام الدولة الزيانية من خلال العناية بها و الإنفاق عليها و إكرام شيوخها ، و التبرك بهم في حياتهم و حتى بعد وفاتهم ، مثلما كان يفعل السلطان يغمراسن بن زيان مع الكثير

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج1 ، ص 742 .

[2] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج2 ، ص346 .

[3] محمد نسيب : **زوايا العلم و القرآن** ، دار الفكر ، الجزائر ، ص27.

من المتصوفة [1] ، إلى جانب زاوية الأمير أبي يعقوب التي بناها أبو حمو موسى الثاني على ضريح والده ، بجانب المدرسة اليعقوبية [2] ، زاوية الحسن بن مخلوف الملقب بأبركان بتلمسان [3] .

كما تحدث الشيخ الإمام قاسم بن سعيد بن محمد بن محمد العقباني عن جماعة من الفقراء يجتمعون بأثر صلاة الجمعة في مجلس على شيخ يختارونه ، و يصف العقباني ما يحدث فيها فيقول :« ... يجلس هذا الشيخ على يمين الداخل لمجلسهم ، يسبحون و يهللون ...ثم ينتقلون للصلاة و السلام على رسول الله ، ثم يختمون ذلك بالسلام على سائر المسلمين و الحمد لله ، ثم يقرأ منشدهم شيئا من كتاب الله ...فيصلون ... ثم يذكرون بعد ذلك أنواعا من الأذكار...و الدعاء و الاستغفار...» [4].

يعد هذا الوصف الذي ذكره الإمام سعيد العقباني مهمًا لأنه يعطي لنا صورة واضحة عن نشاط هذه الزوايا في المجال التعليمي و إن انحصر في الجانب الديني فقط .

4- المكتبات :

أعطى حكام بني زيان عناية كبرى لإنشاء المكتبات العامة و تزويدها بالكتب الضرورية لكي تؤدي مهمتها التعليمية ، حيث ظهرت أسواقا للكتب و المكتبات العامة و الخاصة [5]

---

[1] يحي ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 122 .

[2] التنسي : المصدر السابق ، ص179 .

[3] نفسه ، ص248 .

[4] الونشريسي : المصدر السابق ، ج11 ، ص48-49 .

[5] كمال مصطفى : **جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب من خلال نوازل و فتاوى المعيار للونشريسي** ، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996، ص122.

و من مظاهر اهتمام حكام تلمسان بالمكتبات ، العمل على إنشائها و كان ذلك داخل المساجد و المدارس [1] و منها :

المكتبة التي أنشأها الحكام أبو حمو موسى الثاني داخل المسجد الكبير سنة 760هـ « أمر بعمل هذه الخزانة المباركة مولانا السلطان أبو حمو إبن الأمراء الراشدين أيده الله أمره و أغر بصره و نفعه كما وصل و نوى و جعله من أهل التقوى و كان والفراغ من عملها في يوم الخميس ثالث عشر ذي القعدة من عام 760 هـ » [2] .

كما احتوت مدارس مدينة تلمسان العديد من المكتبات و خاصة مكتبة مدرسة ولاد الإمام [3].

5 – المدارس :

إن المؤسسات التعليمية من العوامل الهامة التي أثرت في الحياة العلمية في المغرب الإسلامي ، فكان لابد أن تعرف تطورا عبر الأزمنة لتواكب تطور العلوم و إقبال العلماء عليها ، فمن المؤسسات الجامعة للدور التعليمي و غيره الديني و الإجتماعي نجد المساجد و الزوايا إلى مؤسسة تعليمية نظامية عرفت أهمية كبيرة و دور تربوي تعليمي متميز ألا و هي المدارس .

المدرسة هو مكان تلقى فيه الدروس ، إن المدرسة مؤسسة تعليمية جديدة ظهرت في المشرق خلال القرن خامس هجري [4] ، عرف هذا النوع من الرافق التعليمية لأول مرة في مدينة نيسابور و ذلك بتشييد المدرسة البيهقية في أوائل القرن الخامس هجري ، لكن مع هذا أجمعت

---

[1] محمد بوشقيف : **تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن و التاسع الهجريين** ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط ، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان ، 2011 ، ص 69 .

[2] عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ، ص 183 .

[3] محمد بوشقيف : نفسه ، ص 70 .

[4] الحسين أسكان : المرجع السابق ، ص 56 .

الدراسات التاريخية أن الإنشاء الحقيقي للمدارس و اهتمام الدولة بها لم يكن إلا على يد الوزير السلجوقي " نظام الملك " الذي بني المدرسة النظامية ببغداد .

أما عن ظهورها في بلاد المغرب الإسلامي ، فكان في بداية القرن السابع هجري / ثالث عشر ميلادي ، و كان ذلك في عهد السلطان الحفصي أبو زكريا (647 هـ / 1249 م) قد أنشأ أول مدرسة بالمغرب الأدنى عرفت بالمدرسة الشماعية ، و كان ذلك فيما بين سنتي (647.633 هـ / 1245.1235 م) ، أما في المغرب الأقصى فتزامن ظهور المدارس بقيام الدولة المرينية و كانت أول مدرسة شيدت في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق (657 هـ / 1258 م . 685 هـ / 1286 م) سميت الصفارين ، و كان ذلك حوالي سنة 670 هـ / 1271 م و تلاها تشييد مدارس أخرى [1] .

أما في المغرب الأوسط فقد تأخر ظهور المدرسة إلى غاية القرن الثامن هجري / الرابع عشر ميلادي ، حين قلد بنو زيان حكام بني مرين في تشييد المدارس و الاعتناء بها ، فسعى بنو زيان من وراء بناء المدارس في مختلف مدن المغرب الأوسط إلى توجيه الرعية التعليم فيها المذهب المالكي من أجل وحدة السياسة المذهبية [2] .

و من المدارس التي ذاع صيتها في تلمسان الزيانية ، و استثنينا ذكر المدارس التي شيدها بنو مرين في تلمسان :

---

[1] محمد بوشقيف : " **المدرسة و نظام التعليم بالمغرب الأوسط خلال الرنين 8هـ-9هـ/ 14 -15م)** " دورية كان التاريخية ، العدد الحادي عشر ، 2011، ص58 .

[2] صالح بن قربة : **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر** ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث ، الجزائر ، 2007 ، ص140 .

أ – مدرسة ولدي الإمام :

كانت نشأتها على يد السلطان أبي حمو موسى الأول ، و عرفت باسم مدرسة الأخوين ابني الإمام و ذلك سنة 710 هـ / 1310 م ، فقد أنشأها تكريما للعالمين الجليلين الفقيهين أبي زيد عبد الرحمن [1] و أخيه أبي موسى عيسى [2] ابني الإمام الفقيه أبي عبد الله محمد بن الإمام و اللذان دخلا تلمسان في عهد هذا السلطان فأكرمهما[3] و يقول التنسي عن ظروف و هدف تأسيسها : " ... كان محبا للعلم و أهله معتنيا به قائما لحقه ، ابتنى مدرسة لابني الإمام تكريما لهما و احتفاء بهما " [4] و في إشارة إلى المدرسة يقول إبن مريم : " و بنيت المدرسة داخل باب كشوط " [5] .

و لما كانت مدرسة أولاد الإمام هي أول مؤسسة تربوية ثقافية في حاضرة الدولة الزيانية ، فقد عين الحاكم للتدريس بها كبار العلماء من أمثال التلمسانيان ابني الإمام و شيخا المالكية فضلاء المغرب في وقتهما [6] .

---

[1] أبي زيد عبد الرحمن : هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البرشكي التلمساني الشهير بابن الإمام أكبر الأخوين لابني الإمام الفقيه الخطيب محمد بن عبد الله التلمساني(ت743هـ). (يحي ابن خلدون : المصدر السابق ، ص50 ؛ أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ابن مريم : **البستان في ذكر الأولياء و العلماء من تلمسان** ، مراجعة محمد ابن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 1908، ص123) .

[2] هو أبو موسى عيسى بن محمد بن عبد الله البرشكي التلمساني الشهير بابن الإمام ، أخو عبد الرحمن بن محمد (ت 748هـ) .(يحي ابن خلدون : نفسه ، ص130) .

[3] Lachachi Amira , « Médersas Mérinides : Al Bou Inaniyya de Fès sidi Boumediene de Tlemcen-Etude comparative ,Mémoire pour l'obtention du diplôme de magistère spécialité archéologie du Maghreb islamique , université Abou bekr belkaid ,Tlemcen ,2013-2014,p42.

[4] التنسي : المصدر السابق ، ص139 .

[5] ابن مريم : نفسه ، ص126 .

[6] التنبكتي : المصدر السابق ، ص 247 .

ب – المدرسة التاشفينية :

تعد المدرسة التاشفينية ثاني مؤسسة تعليمية زيانية أسست في بلاد المغرب الأوسط بناها أبو تاشفين عبد الرحمن الأول (718– 737 هـ / 1318– 1337 م) ، الذي خلد أثارا عديدة ، حيث كان مولعا بالبناء و التشييد ، و يقول التنسي عن مآثر الحاكم : « و حسن ذلك كله ببناء المدرسة الجليلة العديمة النظير ، التي بناها بإزاء الجامع الأعظم » [1]. تم تدشينها في شهر صفر سنة 765 هـ / 1364 م [2] . و تقع التاشفينية بإزاء المسجد الجامع جنوبا و هي بذلك توجد في مجال يعتبر النواة الأولى بعد جامع أغادير الذي أسسه إدريس الأول خلال النصف الثاني من القرن الثاني هجري [3] .

ظلت هذه المدرسة اللتي كانت تعد من أجمل مدارس المغرب الأوسط تؤدي رسالتها التعليمية و الثقافية طوال فترة الدولة الزيانية .

من بين المصادر القليلة التي أشارت إلى التاشفينية و تغنت بها ، نذكر كتاب نفح الطيب للمقري الذي ضمن بعض الأبيات الشعرية التي رآها منقوشة بأعلى دائرة مجرى الماء، فيقول : "رأيت مكتوبا بأعلى دائرة مجرى الماء في مدرسة تلمسان التي بناها أمير المسلمين ابن تاشفين الزياني و هي من بدائع الدنيا :

أنظر بعينك بهجتي و سنائي و بديع إتقاني و حسن بنائي

و بديع شكلي و اعتبر فيها ترى من نشأتي بل من تدفق مائي

جسم لطيف ذائب سيلانه صاف كذوب الفضة البيضاء

---

[1] التنسي : المصدر السابق ، ص 141 .

[2] رشيد بورويبة : جولة... ، المرجع السابق، ص 181 .

[3] صالح بن قربة : المرجع السابق ، ص 144 .

قد حفّ بي أزهار و شيء نمقت فغدت كمثل الروض غب سماء [1]

اهتم الحاكم " عبد الرحمن أبو تاشفين " اهتماما بالغا بهذا المعلم الحضاري من خلال جلب إليه العلماء الأجلاء أمثال أبي موسى عمران المشدالي[2] الذي كان من أكبر فقهاء المالكيين في عصره ، الذي ولاه التدريس بمدرسته الجديدة [3] .

غير أن هذه المدرسة طمست أثارها و لم يبقى من ذكرها إلا الاسم ، و قد كانت هذه المدرسة قائمة محافظة على شكلها لغاية 1873 م ، عندما قامت السلطات الاستعمارية بإزالتها [4] .

ج – المدرسة اليعقوبية:

أسسها الحاكم الزياني أبو حمو موسى الثاني (760 –791 هـ / 1358 –1888 م) تخليدا لوالده أبي يعقوب الذي أدركته الوفاة (763 هـ / 1362 م) و كان أبو حمو الثاني قد أمر بدفن أبيه في باب إيلان ثم نقل إلى جواره أخويه السلطانين " أبي سعيد و أبي ثابت " اللذان توليا حكم تلمسان في الفترة السابقة [5] فجاءت هذه المدرسة لتخلد أسماء العلماء و الحكام و لتدل على مكانة علمية و فكرية راقية في تلك الفترة .

---

[1] شهاب الدين أحمد بن محمد المقري : **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، تحقيق إحسان عباس دار صادر ، بيروت ، 1988، ج6، ص47 .

[2] أبو عمران المشدالي (ت 745هـ–1344م) من كبار الفقهاء و أخيار العلماء الصلحاء ، من زواوة و قصد تلمسان ، و قيل أنه لم يكن في عصره أحد مثله علما بمذهب الإمام مالك ، و حفظا لأقوال الصحابة و عرفا بنوازل الأحكام ، و صوابا في الفتوى (التنبكتي : المصدر السابق ، ص 217) .

[3] التنسي : المصدر السابق ، ص 141 .

[4] صالح بن قربة : المرجع السابق ، ص146 ، أنظر الملحق رقم8 ، المدرسة التاشفنية .

[5] التنسي : نفسه ، ص179 .

و قدم للتدريس فيها العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني [1] ، الذي كان بارعا في إلقاء الدروس حتى أن أبو حمو كان يحضر مجلس إلقاءه جالسا على الحصير إكراما للعلم [2] .

لقد فقدت هذه المدرسة الكثير من ملامحها ، و لم يبقى منها إلا مسجدا سمي فيما بعد " بجامع سيدي براهيم المصمودي " المتوفى سنة(804 هـ / 1401 م) [3] .

[1] الشريف الحسني : أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني الحسني ، من أكابر علماء تلمسان و المغرب الإسلامي ، ولد حوالي سنة 710هـ/1310م بتلمسان و أخذ العلم بها عن جملة من علمائها كابني الإمام ، أبو موسى عمران المشدالي ، كان له مكانة كبيرة عند ملوك عصره كأبي حمو موسى الثاني هذا الأخير الذي أكرمه ، و زوجه إحدى بناته و عينه مدرسا بالمدرسة اليعقوبية ، توفي 771هـ /1369م (التنبكتي : المصدر السابق ، ص 255-256) .

[2] التنسي : المصدر السابق ، ص 180.

[3] عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ، ص182 ؛ عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ،ج1 ص 143 .

المبحث الرابع : أهم العلوم و العلماء

يعتبر العصر الزياني بتلمسان من أزهى العصور الثقافية في المغرب الأوسط ، مما اختص به هذا العصر من نشاط علمي و فكري منقطع النظير ، إذ يعد من أخصب عهودها بأسماء المثقفين و العلماء و المؤلفات و عن أهم العلوم المتداولة في العهد الزياني مع ذكر أهم روادها الذين نبغوا فيها نجد :

أولا – العلوم النقلية :

فقد وجه علماء تلمسان جل اهتمامهم للعلوم الدينية ، و في مقدمتها الفقه و علوم التفسير و الحديث .

أ –التفسير :

هو من العلوم الدينية الذي لاقى إهتماما واسعا من علماء أهل تلمسان لقيمته الكبيرة ، فهو علم يشتمل على معرفة و فهم كتاب الله المنزل على نبينا محمد (ص) ، و بيان معانيه و استخراج أحكامه و حكمه [1] .

عرف العلماء المغاربة طريقتين ذكرها ابن خلدون لتفسير القرآن الكريم فتحدث عن التفسير المأثور و يستند إلى الآثار المنقولة عن النبي (ص) و السلف ، و هناك من المفسرين من يرتكز على الرأي و الاجتهاد [2] ، و العمل بهذا يراه ابن مريم من أصعب الأمور و يقول عن من يفسر القرآن كأنه شهد التنزيل ، و يضيف أن الرسول (ص) لم يكن يفسر من القرآن إلا آيات معدودة [3] .

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج1، ص553 .

[2] نفسه ، ص 554 .

[3] ابن مريم : المصدر السابق ، ص219 .

و من هنا يتجلى لنا ما مدى صعوبة تفسير القرآن .

أما عن أهم مؤلفات تفاسير المتداولة في بلاد المغرب الإسلامي و التي أخذ عنها علماء تلمسان ، تفسير لابن عطية الأندلسي [1] (546 هـ / 1154 م) من المتأخرين في الغرب الإسلامي ، فلخص التفاسير كلها و جمعه في كتاب سماه " المحرز الوجيز في شرح كتاب الله العزيز " و كذلك اشتهر في التفسير كتاب " الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل " لأبي القاسم عمر الزمخشري [2] (538 هـ / 1144 م) [3] .

اهتم أهل تلمسان ، كغيرهم من المسلمين بتفسير القرآن بأنه المصدر الأول لتشريعهم فدرس الفقهاء و العلماء تفسير القرآن في المدارس و المساجد بعاصمة بني زيان .

و من أهم المفسرين التلمسانيين :

برز أبو عبد الله التلمساني في علم التفسير ، حيث مارس هذا العلم أكثر من خمسة و عشرين سنة ، إذ كان أبو عبد الله يفسر كل يوم ربع حزب من القرآن الكريم ، فأبدع في ذلك [4] .

---

[1] هو الإمام أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر بن غالب (ت 481هـ) ، أحد علماء أهل الأندلس الجامعين للفقه و الحديث و التفسير و الأدب (حاجي خليفة : **كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون** دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، مج 1 ، ص439) .

[2] أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ) الإمام العلامة جار الله من أهل خوارزم العراق و مؤلفه "كتاب الكشاف " من أهل الاعتزال (نفسه ، مج2 ، ص 1475) .

[3] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 1، ص 555 .

[4] محمد الحفناوي : **تعريف الخلف برجال السلف** ، مطبعة بيير فونتانة الشرقية ، الجزائر 1906، ص115 ؛ القاسمي البختاوي : "**من أعلام تلمسان : أبو عبد الله الشريف التلمساني (716-771هـ/ 1316-1370م)** "، دورية كان التاريخية ، العدد 18 ،2012، ص20 .

و من بين المفسرين المشهورين ، الشيخ أعلم الناس في وقته بالتفسير أحمد بن زاغو (845 هـ / 1441 م) هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المغراوي التلمساني ، مفسر و محدث أصولي ، من أهل تلمسان درس في المدرسة اليعقوبية ، من أهم مؤلفاته في علم التفسير " مقدمة في تفسير القرآن العظيم " و فسر كذلك " سورة الفاتحة " تفسيرا في غاية الحسن كثير الفوائد [1] و وصفه القلصادي الذي قرأ عليه ، " بأنه أعلم الناس في وقته بالتفسير و أفصحهم [2] .

كذلك سعيد بن محمد العقباني التلمساني (811 هـ / 1408 م) الإمام العالم الفاضل ، فقيه مذهب مالك متفنن في العلوم ، سمع من إبني الإمام و له عدة تآليف ، أما عن إجتهاده في علم التفسير فيذكر إبن مريم أن له تفسير سورة الفاتحة و الأنعام و أتى فيهما بفوائد جليلة [3] و من العلماء الذين إهتموا بالتفسير محمد بن عبد الكريم المغيلي ، نشأ بتلمسان و أخذ عن علمائها (ت 909 هـ / 1503 م) ، له تفسير سورة الفاتحة كما ألف كتابا أخر في علوم التفسير عنوانه " الندر المنير في علوم التفسير " [4] .

---

[1] التنبكتي : المصدر السابق ، ص119 ؛ ابن مريم : المصدر السابق ، ص41 ؛ القلصادي : المصدر السابق ، ص 102 ؛ عادل نويهض : **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر** مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت ، ط2 ، 1980 ،ص 156 .

[2] القلصادي : نفسه ، ص 103 .

[3] ابن مريم : نفسه ، ص 106 ؛ برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون : **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماءالمذهب**، دراسة و تحقيق مأمون بن يحي الدين الحنان ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ج1 ، 1996، ص 394 .

[4] ابن مريم : نفسه ، ص 253-255 ؛ عبد الحميد حاجيات : " **الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان** "، مجلة الأصالة ، العدد 26 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، تلمسان ، 2011 ص 148 .

ب – علم الحديث :

و لعلم الحديث أهمية كبيرة في الدين الإسلامي ، و قد اهتم به علماء المغرب الأوسط في عهد بني زيان ، و ذلك جراء اهتمامهم الكبير بسنة النبي (ص) .

و لدراسة الحديث و علومه ، انصب اهتمام التلمسانيين في هذا المجال على عدة كتب أهمها : الموطأ للإمام مالك (ت179هـ) ، صحيح البخاري لأبي عبد الله البخاري (ت 265 هـ / 870 م) ، صحيح مسلم بن الحجاج (ت 261 هـ / 857 م) [1] .

و قد برز العديد من علماء المغرب الأوسط بتلمسان في علم الحديث منهم :

أبو إسحاق التنسي : (ت 899 هـ) ، إبراهيم بن يخلف أصله من تنس و استوطن تلمسان بعدما ألح عليه السلطان يغمراسن ، و كان من كبار علماء المغرب الإسلامي ، ترد عليه الأسئلة من مختلف الأقطار ، و قد قام بتدريس الحديث و غيرها من العلوم بتلمسان ، فانتفع به خلق كثير ، أطلق عليه لقب الحافظ [2] .

إبن مرزوق الحفيد : (ت 842 هـ) ، محمد بن أبي بكر بن عبد الله العجيسي التلمساني له مؤلفات عديدة في علم الحديث أهمها " كتاب أنوار الدراري في مكررات البخاري " [3] و له شرح لكتاب الجامع الصحيح للبخاري أسماه " المتجر الربيح و المسعى الرجيح و المرحب الفسيح " [4] .

---

[1] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج2 ، ص441 .

[2] التنبكتي : المصدر السابق ، ص573 ؛ ابن مريم : المصدر السابق ، ص 67 ؛ التنسي : المصدر السابق ، ص11.

[3] التنبكتي : نفسه ، ص 507.

[4] محمد بن عبد الرحمن السخاوي : **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** ، مكتبة القدسي القاهرة ، ج7 ص50 ؛ عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ،ج2 ، ص444.

كما كان للشيخ عبد الكريم المغيلي ، دراية بهذا العلم فألف فيه " كتاب مفتاح النظر في علم الحديث "[1] .

و ممن اشتهر في هذا العلم أيضا ، محمد بن الحسن بن مخلوف أبركان (ت 868 هـ 1464 م) فقيه مالكي ، محدث من أهل تلمسان ، من أثاره " المشرع المهيأ في ضبط مشكل رجال الموطأ " و يذكر أبه لا يزال مخطوطا ، و " الزند الواري في ضبط رجال البخاري " و " فتح المبهم في ضبط رجال مسلم " و " الثاقب في لغة إبن الحاجب " و ثلاثة شروح على الشفا أكبرها في مجلدين سماها " الغنية " [2] .

ج – الفقه :

إن الحديث عن الفقه في المغرب الإسلامي بضفة عامة و المغرب الأوسط بصفة خاصة يرتبط ارتباطا وثيقا بالمذهب المالكي لشيوعه في البلاد ، و ما يميز هذا العلم كثرة اهتمام العلماء التلمسانيين به و تجلى ذلك بالمؤلفات الكثيرة التي عرفت في هذا العصر . و سنحاول عرض إنتاج علماء تلمسان في علم الفقه و أهم العلماء الذين برعوا فيه:

محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي ألف في هذا العلم "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" في كراسين في الفقه المالكي [3] و ابن مرزوق الحفيد له عدة تأليف في علم الفقه منها " أرجوزة في اختصار ألفية ابن مالك " ، و " اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة " وهو كتاب يتضمن أجوبة على مسائل في الفقه و التفسير و غيرها [4] .

---

[1] التنبكتي : المصدر السابق ، ص 578 .

[2] عادل نويهض : المرجع السابق ، ص14 ؛ ابن مريم : المصدر السابق ، ص220 .

[3] التنبكتي : نفسه ، ص 578 .

[4] نفسه ، ص 507 .

كما كان لمحمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق (ت 781هـ / 1379م) يعد الفقيه من كبار علماء المالكية في عصره ، من أهم مؤلفاته " إزالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب " [1] .

كما ظهرت في هذه الفترة نوازل مشهورة إحداها للعالم الفقيه يحي بن أبي عمران موسى بن عيسى المازوني (ت 883 هـ / 1478 م) بتلمسان بتأليفه لكتابه الضخم " الدرر المكنونة في نوازل مازونة " و هي عبارة عن فتاوى أهل تونس بجاية و تلمسان [2] .

و يعد كتاب الدرر المكنونة من أهم الدراسات الفقهية خلال القرن التاسع هجري / الخامس عشر ميلادي و تكمن أهميته باعتباره مصنف تاريخي فقهي يشمل مختلف المجالات السياسية ، اجتماعية ، ثقافية و اقتصادية في دراسة تاريخ المغرب الأوسط [3] .

أحمد بن يحي بن علي الونشريسي (ت 914 هـ / 1509 م) ، الذي انكب على تدريس كتب الفقه المالكي ، من أهم مؤلفاته : كتاب " المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية و الأندلس و المغرب " و تعليق على ابن الحاجب ، و كتاب " الفروع في مسائل الفقه و غيرها من المؤلفات الأخرى " [4] .

د- التصوف :

يعرف ابن خلدون علم التصوف على أنه من العلوم الشرعية الحادثة في الملة الإسلامية [5] و يرجع أصله إلى الزهد و العبادة و الإبتعاد عن الدنيا و ملذاتها [6].

---

[1] عادل نويهض : المرجع السابق ، ص290 .

[2] التنبكتي : المصدر السابق ، ص 637 .

[3] محمد بوشقيف : تطور ، المرجع السابق ، ص 152 .

[4] الحفناوي : المرجع السابق ، ص 62-63 .

[5] عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج1، ص500.

[6] نفسه : ص500.

و لا شك أن الانتشار الذي عرفته الحركة التصوفية في بلاد المغرب الأوسط في العصر الزياني ، لم يولد من فراغ ، إنما هو نتاج لجهود سابقة بذلت قبل هذا العصر .

فإبان العهد المرابطي لم يكن يسمح لأي فن من أنواع المعرفة خارجة عن نطاق المذهب المالكي ، فلقد كان تشددهم له قد ضيق الخناق على كل مظاهر الاجتهاد بل ذهبوا أبعد من ذلك حين كفروا من خاض في علم الكلام ، كما قاموا بمطاردة الفلاسفة و أصحاب النزعات الصوفية بوصفهم لهم بالزندقة و الانحراف فلقد منعوا تداول كتب الغزالي [1] على رأسها كتاب الإحياء الذي تم حرقه [2] .

ليظهر عهد جديد تمثل في الدولة الموحدية بزعامة " ابن تومرت " ، التي كانت دعوته ترمي إلى التجديد الديني و ما ميز هذه الفترة التفتح الفكري و تشجيع حرية التفكير و البحث و من هنا لاقت الحركة التصوفية رواجا و أتباعا في بلاد المغرب [3] .

فورثت الدولة الزيانية عن سابقتها ذلك الاهتمام و العناية بهذه الحركة فاهتم علماء تلمسان بعلم التصوف و برزوا فيه .

---

[1] أبو حامد الغزالي : هو محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ، الملقب بحجة الإسلام ، ولد بمدينة طوس إحدى مدن خراسان ، و كان أحد العلماء ممن مارسوا التدريس في المدرسة النظامية في بغداد و هو صاحب المصنف المشهور "إحياء علوم الدين " (عبد الرحمن ابن الجوزي : **المنتظم في تاريخ الأمم و الملوك** ، تحقيق محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا ، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992، ج17، ص124-125) .

[2] ابن القطان المراكشي : **نظم الجمان ما سلف من أخبار الزمان** ، تحقيق محمود علي مكي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، ص71 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج4، ص59 .

[3] أوليري دي لاس : **الفكر العربي و مركزه في التاريخ** ، ترجمة اسماعيل بيطار ، دار االكتب اللبناني بيروت ، 1982، ص211.

و من أعلام التصوف في حاضرة تلمسان نذكر منهم :

محمد بن أحمد المقري الجد : الذي أكف التأليف العديدة في هذا العلم ، من أهمها كتابه الشهير " الحقائق و الرقائق " ، كما له كتاب آخر في التصوف بعنوان " رحلة المتبتل " و كذا كتاب " إقامة المريد " [1] .

و من شيوخ التصوف عبد الرحمن ابن زاغو (ت 845 هـ) الذي وضفه ابن مريم بأنه له : " قدم راسخة في التصوف مع الذوق السليم و الفهم المستقيم و به يضرب المثل في الزهد و العبادة " [2] .

تحدثت المصادر عن حشد هائل لأسماء الزهاد و المتصوفة الذين أنجبتهم تلمسان خلال العهد الزياني .

فمن الطبيعي أن ثمة أسباب وراء سرعة إنتشاره بمدينة تلمسان يأتي في مقامها الأول " سيدي أبي مدين " [3] و دفنه بها يقول المقري : " و يكفيها فخرا دفن ولي الله سيدي أبي مدين شعيب بن الحسين الأندلسي شيخ المشايخ و سيد العارفين و قدوة السالكين " [4] .

و ظل ضريحه مقصدا للزهاد و العلماء فلما مر بتلمسان محمد العبدري هاله ما رأى بها و تحدث عن د"لك في رحلته الشهيرة " و من أعظمها و أشهرها قبرا لصالح القدوة فرد زمانه أبي مدين رحمه الله و رضي عنه و رزقنا بركته " [5] .

---

[1] ابن فرحون : المصدر السابق ، ج2 ، ص 245 ؛ عادل نويهض : المرجع السابق ، ص 312 .

[2] ابن مريم : المصدر السابق ، ص 42 .

[3] أبي مدين شعيب بن الحسين الأندلسي : أنظر ترجمته في ص 59 .

[4] المقري : نفح ، المصدر السابق ، ج7 ، ص 142 .

[5] العبدري : المصدر السابق ، ص 28 .

كما كان لبعض لحكام دور في تشجيع علم التصوف ، تأثير بالغ في الحياة الفكرية و الثقافية و ممن كانت لهم مشاركة في علم التصوف نذكر أبو زيان محمد بن أبي حمو موسى الثاني بكتاب سماه " الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة و النفس الأمارة " [1] .

ثانيا : العلوم اللسانية

أ – علوم اللغة و أدابها :

حظيت اللغة العربية باهتمام واسع من العلماء التلمسانيين لارتباطها بالعلوم الأخرى خاصة الدينية فلا يمكن الخوض فيها كتفسير القرآن إلا إذا نبغ المفسر باللسان العربي [2] .

و من هنا دأب العلماء على دراسة اللغة العربية و علومها كالنحو و الأدب الذي عرف إهتماما و إقبالا كبيرين من أهل تلمسان شعرا كان أم نثرا.

- **النثر :**

عرف هذا الفن الأدبي نموا كبيرا خلال القرن الثامن من خلال مجموعة من الكتاب الذين ذاع صيتهم ، و من العلماء الذين برزوا في هذا المجال :

ابن الخطاب المرسي (ت 688هـ/1287م) محمد بن عبد الله بن داوود بن الخطاب من أهل مرسية ثم انتقل إلى غرناطة ، و هناك استعمل في الكتابة السلطانية ، بعدها قصد مدينة تلمسان و نزل على سلطانها يغمراسن الذي قربه إليه و جعله كاتبا له " صاحب القلم الأعلى " فصدرت عنه الكثير من الرسائل [3] .

---

[1] التنسي : المصدر السابق ، ص 211 .

[2] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 452 ؛ محمد بوشقيف : تطور ، المرجع السابق ص 177 .

[3] التنسي : المصدر السابق ، ص 127 ؛ ابن مريم : المصدر السابق ، ص227 .

ابن خميس التلمساني (ت 708 هـ / 1309 م) هو محمد بن عمر بن محمد بن خميس الحميري التلمساني ، المشهور بابن الخميس شاعر المائة السابعة[1] كان من كبار الأدباء و الشعراء ، و نظرا لعلمه ولاه السلطان أبو سعيد ابن يغمراسن[2] ديوان الإنشاء.

الشعر :

من أهم الشعراء الذين عرفهم التاريخ الزياني و سنسلط الضوء عليهم و على أعمالهم نذكر :

إبن خميس التلمساني كان من كبار شعراء تلمسان ، حتى لقبه يحي بن خلدون بشاعر المائة السابعة[3] ، فاق شعراء عصره ، له ديوان في الشعر إلا أنه فقد[4] و في وصف تلمسان قال شاعرها :

تلمسان جادتك السحاب الدوالخ و أرست بواديك الرياح اللواقح[5] .

و برز كذلك أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغري التلمساني ولد و نشأ بتلمسان ، نبغ في فنون الأدب ، و نظم القصائد ، التي كان يلقيها في الاحتفالات الدينية التي كان يقيمها أبو حمو موسى الثاني للإحتفال بالمولد الشريف[6] فكان الشعراء ينشدون قصائد المدح

---

[1] يحي ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 118 .

[2] تولى أبو سعيد الحكم بعد وفاة والده يغمراسن سنة 681 هـ / 1283 م ، واستمر حكمه إلى غاية 703 هـ ، في عهده حصل يوسف ابن يعقوب المريني تلمسان ، و توفي أثناء الحصار (التنسي : المصدر السابق ، ص 130) .

[3] يحي ابن خلدون : نفسه ، ص 118 .

[4] المهدي البوعبدلي : " **أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ و نبذ مجهولة من تاريخ حياة بعض إقلامها** " مجلة الأصالة ، العدد 26 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، تلمسان ، 2011 ص 128 – 129 .

[5] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص 465 .

[6] عن طريقة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، انظر : التنسي : نفسه ، ص 162 – 178 .

في النبي (ص) ثم يمدحون الحكام الزيانيين ، و من قول الشاعر الثغري في هذه المناسبة مدحه للمولى أبي حمو و ولي عهده المولى أبي تاشفين قصيدة مطلعها :

سر المحبة بالدموع يترجم فالدمع أن تسأل فصيح أعجم[1]

كما شارك الحكام الزيانيين أيضا في نظم الشعر ، فهذا أبو حمو موسى الثاني ينظم أحسن القصائد في أغراض متباينة ، كذلك سلطان أبو زيان محمد الثاني ينظم الشعر بفصاحة بليغة[2] .

و من قصائد الحاكم أبي حمو موسى الثاني بمناسبة المولد النبوي الشريف :

بمولده قد أشرق الكون كله و كل سنى شمس و بدر و درري

سلام على من بالبقيع و الحمى سلام على البدر المنير التهامي

سلام من المشتاق موسى بن يوسف على خير خلق الله هاد و مهدي[3] .

[1] التنسي : المصدر السابق ، ص 169 .

[2] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 463 .

[3] التنسي : نفسه ، ص 167 –168 .

ثالثا: العلوم الاجتماعية

اهتم بنو زيان بهذا النوع من العلوم على الرغم من العدد الكبير من علماء الدين الذين برزوا في تلك الفترة .

أ- التاريخ :

هو من العلوم التي لم يغفل عليها علماء تلمسان ، إذ برز الكثير منهم في هذا المجال في عهد بني زيان، و صنفوا كتبا تعد اليوم من المصادر الأساسية لدراسة تاريخ بني زيان .

و من أهم المؤرخين للدولة الزيانية نجد :

يحي ابن خلدون(ت 78هـ/1378م) له كتاب "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" فاهتم للتأريخ للدولة العبد الوادية ، منذ نشأتها إلى عصر المؤلف القرن الثامن هجري[1] و يعد من المصادر الأساسية لكون صاحبه عمل كاتبا في ديوان السلطان أبي حمو موسى الثاني[2] فكان قريبا من الأحداث التاريخية .

و كذلك العالم شمس الدين بن مرزوق الخطيب (711-781هـ/1311-1379 م) صاحب كتاب " المسند الصحيح الحسن في ذكر وآثر و محاسن مولانا أبي الحسن المريني" و تخللته ذكر بعض الأحداث التاريخية عن بني مرين و بني زيان[3] .

[1] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 467 .

[2] محمد بن تاويت الطنجي : المرجع السابق_، ص 98 – 99 .

[3] ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص 5 .

"نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان" من تأليف محمد بن عبد الله التنسي ، وله مكانة كبيرة بين علماء عصره، كما كان له أيضا مكانة زفيعة في بلاط السلطان المتوكل الزياني (866-873 هـ/ 1462-1468 م) فخصص هذا الكتاب للثناء عليه ، و ذكر شرفه و شرف بني زيان[1] .

كما ألفت كتب أخرى في هذا المجال ، كتاب زهر البستان في دولة بني زيان ، لمؤلف مجهول عاصر الحاكم أبا حمو موسى الثاني ، و كتاب "النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب " لأبي عبد الله بن صعد التلمساني المتوفى سنة 901هـ-1495م[2] .

رابعا : العلوم العقلية

و تعرف كذلك بالعلوم الطبيعية ، و تشمل الطب و الرياضيات و الفلك و نظرا لأهميتها قد لقيت تشجيعا من قبل حكام بني زيان من خلال تشجيع العلماء على العمل و الاختراع فاعتني بدراسة الطب و علم النجوم و غيرها ، و قد برز العديد من العلماء الذين كانت لهم مشاركة فعالة في هذه العلوم .

[1] التنسي : المصدر السابق ، ص 107 .

[2] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 468 .

1 ــ الرياضيات :

أما عن هذا العلم ، فقد اهتم به العلماء التلمسانيين و برعوا فيه و ألفوا فيه العديد من الكتب

و من كتب الحساب و الجبر التي كانت لتداولة في بلاد المغرب الإسلامي ، واعتمد عليها العلماء التلمسانيين ، الأرجوزة الياسمينية في الجبر لأبي محمد عبد الله بن الحجاج بن الياسمين (ت 601 هـ / 1254 م) و أعمال الحساب لأبي العباس أحمد بن البناء (ت 721 هـ / 1321 م)[1] .

و من علماء المغرب الأوسط الذين برزوا في علم الرياضيات نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

الشيخ سعيد بن محمد العقباني التلمساني (ت 811 هـ / 1418 م) ، و هو إمام عالم فاضل ، متفنن في العلوم ، له تأليف عديدة أما فيما يخص علم الرياضيات له " شرح الحوفي في الفرائض " و له شرح " التلخيص لابن البناء " ، و له " شرح قصيدة إبن الياسمين في الجبر و المقابلة "[2] .

و ممن ساهموا في هذا العلم من خلال مؤلفاتهم محمد بن أحمد التلمساني الشهير بالحباك (ت 867 هـ / 1463 م) ، له كتاب " تلخيص أعمال الحساب " [3] و " شرح تلخيص ابن البناء "[4] .

---

[1] محمود بوعياد : **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط القرن التاسع هجري** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ص 76 .

[2] ابن فرحون : المصدر السابق ، ص 394 .

[3] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص 489 .

[4] عادل نويهض : المرجع السابق ، ص 120 .

كما ظهر أبو الحسن علي بن محمد القرشي القلصادي نزيل تلمسان كان نابغا في الرياضيات و الفرائض و غيرها من العلوم من تأليفه " كشف الحجاب عن قانون الحساب " ، و شرح ابن الياسمين في الجبر و المقابلة و مختصره " شرح فرائض مختصر خليل "[1] .

2 ــ علم الفلك :

اهتم العلماء المسلمين بهذا العلم منذ القدم ، لارتباطه بالأمور الدينية مثل تحديد القبلة و رؤية هلال رمضان و شوال ، و لم يخرج علماء تلمسان عن المألوف ، فلقد كانت لهم إسهامات كبيرة في علم الفلك .

و ممن برزوا في هذا العلم : محمد بن النجار التلمساني (ت 749هـ) شيخ التعاليم أخذ عن أبي عبد الله الآبلي ، كان إماما في النجوم[2] .

و ممن اهتموا بهذا العلم نجد محمد بن يوسف السنوسي الذي شرح قصيدة أستاذه الحباك " بغية الطلاب في علوم الإسطرلاب " و سماها " عمدة ذوي الألباب و نزهة الحلطاب في شرح بغية الطلاب في علم الإسطرلاب "[3] .

أبو الحسن على بن أحمد المعروف بابن الفحام أخذ عن أبي عبيد الله بن النجار اشتهر بصنع المنجانة التي تزين بها قصر أبي حمو الثاني .

---

[1] أبو عمران الشيخ و آخرون : **معجم مشاهير المغاربة** ، مؤسسة صونيام للنشر ، الجزائر ، ط2 ص 441 – 443 .

[2] الحفناوي : المرجع السابق ، ص553 ، ابن مريم : المصدر السابق ، ص 153 .

[3] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص 476 .

4 ـ الفلسفة :

اهتم الدارسون بالمنطق كواحد من أهم العلوم التي لاقت رواجا في بلاد المغرب الأوسط خاصة بعدما انتشرت كتب الفلسفة ككتاب الإحياء للغزالي (ت 505 هـ / 1111 م)[1] .

و تجلى اهتمام علماء المغرب الأوسط بهذا العلم من خلال المؤلفات و المختصرات و الشروح التي ألفوها .

و من أشهر علماء العصر في هذا العلم نجد :

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي (ت 757 هـ / 1356 م) ، أعلم خلق الله بفنون المعقول ، أصله من آبلة و نشأ بتلمسان و هو من شيوخ عبد الرحمن بن خلدون[2] .

و ألف محمد بن عبد الكريم المغيلي عدة مؤلفات في علم المنطق منها " شرح الجمل في المنطق " و " مقدمة في المنطق " [3] .

أما في علم المنطق ، فقد نبغ العالم محمد السنوسي (ت 895 هـ) ، له " شرح جمل الخونجي " في المنطق ،" مختصر في علم المنطق " و " شرح مختصر ابن عرفة "[4].

و اشتهر كذلك أبو الفضل محمد بن محمد المشدالي (ت 865 هـ / 1460 م) الذي كان عالما بالعلوم النقلية و العقلية ، و من مؤلفاته شرح جمل للخوانجي "[5] .

---

[1] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 477 .

[2] التنبكتي : المصدر السابق ص 411 ، ابن مريم : المصدر السابق ، ص 214 .

[3] عادل نويهض : المرجع السابق ، ص 308 ؛ ابن مريم : نفسه ، ص 237 .

[4] عادل نويهض : نفسه ، ص 181.

[5] جلال الدين السيوطي : **نظم العقيان في أعيان الأعيان** ، تحرير فيليب حتى ، المكتبة العلمية ، بيروت 1927 ، ص 160 .

الفصل الرابع

تمهيد :

عرفت منطقة المغرب الأوسط ازدهارا حضاريا متميزا ، منذ تأسيس حواضر العلمية الأولى بها وكانت لهذه الحواضر دورا بارزا في تاريخ الحضاري للمغرب الأوسط حتى نافست حواضر العالم الإسلامي في المشرق و الأندلس .

في بحثنا هذا اهتمامنا بدراسة ثلاث حواضر متميزة و هي تيهرت و بجاية و تلمسان و بعد عرضنا لعوامل ازدهار الحياة العلمية بها من دور الحكام فيها و المؤسسات التعليمية و انتشار العلم و العلماء ، حاولنا أن نقارن بينها في هذا الفصل مبرزين الاختلاف في كل حاضرة من الحواضر الثلاث .

المبحث الأول : دراسة مقارنة بين دور الحكام في الحياة الفكرية :

كانت الحواضر الثقافية في المغرب الأوسط حواضر علمية بالدرجة الأولى ، بحيث كان البيت الرستمي بين العلم ، و البيت الحمادي بيت المعرفة و البيت الزياني بيت و دار العلماء. ولكن ظهرت بعض الفروقات و الاختلافات بين هذه الحواضر و دارستنا دراسة مقارنة بين دور الحكام في كل حاضرة في بناء الحياة الفكرية .

و الملاحظ أن حكام الدولة الرستمية أولوا عناية كبيرة بعلم و المعرفة، بحيث كانوا علماء أجلاء و كان عددهم قليل ، مقارنة بالحواضر الأخرى ، و حتى في فترة الحكم فقد دامت الدولة الرستمية من 160هـ/296هـ.

وكان الحكام الفحول حكام أجلاء و كانت من شروط الإمامة و رئاسة الدولة العلم [1].

و جاءت الدولة الرستمية بعد موجات من الثورات و الحروب خاصة عهد الولاة ، أي لم تكن على أنقاض أي دولة سابقة بحيث كان البربر يتمسكون بأي وافد عليهم تكون له صلة بالبيت النبوي أو دار الخلافة في المشرق .

حتى أنهم كانوا يدرسون في المساجد يناظرون العلماء و كانت لهم حلقات في المساجد وكان باب بيتهم مقصد للعلماء و الطلبة .

حتى أنهم كانوا على صلة بالمشرق خاصة مع العلماء الإباضين الذين كانوا يبعثون لهم بأحمال محملة من الكتب .

أما عن بجاية الحمادية فهي أيضا ظهرت تميزها بين الحواضر في المجال الفكري الثقافي ، إلا أن الدراسات حولها لم تكن كثيرة و جاءت قليلة .

[1] محمد علي دبوز ،المرجع السابق، ص 332 .

و بعد إنتقال الحمادين من القلعة الى العاصمة الجديدة بجاية كان إهتمامهم الأول هو بناء العاصمة و الاهتمام بشؤونها السياسية ، لكن هذا لم يمنعهم من الابتعاد عن الحياة الثقافية و الاهتمام بالعلم ، فكانت بجاية ملجأ لأفواج اللاجئين من الشعراء و الفنانين و تعد مركز من المراكز الثقافية الهامة في المغرب الأوسط .

حتى أن الفترة التاريخية لها كانت قصيرة أي من 395هـ / 547 هـ ،1004 م / 1154م و جاءت بعد انفصالها عن الدولة الزيرية .

و كان مذهبهم المذهب المالكي ، بحيث كان الحكام يهتمون أكثر بالشعر .

و للإشارة فإن حكام بجاية كان بعضهم علماء يهتمون بالعلم و كرسوا حياتهم لازدهار الحياة فيها.عكس حكام تيهرت الذين كانوا كلهم علماء و أفنوا حياتهم في العلم و كانوا زهاد في الدنيا يريدون الآخرة.

أما عن حاضرة تلمسان التي شهدت حركة فكرية لا مثيل لها ، خاصة في العهد الزياني ، فكان معظم السلاطين يولون إهتماما بالغا بالجانب الثقافي ، فطلبوا إليها أكابر العلماء للتدريس بها و الإنفاق على طلبتها و النزعة العلمية التي تميزو بها بحيث كانت لهم إرادة قوية و رغبة شديدة في الإعتناء بالفكر حتى كانت المنافسة بين الأمراء في إختيار كبار الكتبة و الأدباء و إدراجهم في المجالس العلمية .

فقد دامت فترة حكم الدولة الزيانية من633هـ/ 962 هـ- 1235 م /1562م إلا أن الفرق بين الحكام كان متباينا في نشاطهم العلمي حيث كان حكام تيهرت الرستميين يلقنوا الدروس بأنفسهم و يحضرون المجالس العلمية و مناظرات .

أما عن حكام بجاية فلم تتكلم لنا المصادر عن نشاطهم العلمي فكان اهتمامهم الأكبر في الجانب السياسي ، أم عن حكام تلمسان فكان نشاطهم كبيرا يسمعون الدروس و يحضرونها.

كان حكام تلمسان يستقدمون العلماء إلى بلاطهم لإلقاء الدروس و اهتموا أيضا ببناء المدارس و هذه الظاهرة لم تكن في عهد الرستميين الذين اهتموا ببناء المساجد .

وأما في موضوع التأليف فكان حكام الدولة الرستمية يهتمون بتأليف الكتب على عكس الحمادين الذين لم يخلفوا وراءهم كتب تحي أيامهم .

و من مظاهر النشاطات الثقافية الذي كانت تحييها تلمسان ظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف و اهتموا بإحياءها كما نظموا الشعر عليها.

المبحث الثاني : المؤسسات التعليمية و دورها الثقافي في المغرب الأوسط :

تحدثنا فيما سبق عن المؤسسات التعليمية التي كانت منتشرة في حواضر المغرب الأوسط (تيهرت الرستمية ، بجاية الحمادية ، و تلمسان الزيانية) أما في المبحث هذا الذي نحن بصدد دراسته ، فسنحاول أن نقارن بين أنواع المراكز المنتشرة و عن مدى الإهتمام و الرعاية بها في مختلف الحواضر و هل اختلف دور كل مؤسسة في كل عهد من العهود .

إن تاريخ التعليم في العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط ، ارتبط ارتباطا وثيقا بالمؤسسات و المراكز التعليمية ، فقد كانت تعبر عن مظاهر الاهتمام بالعلم و السعي الجاد وراء تنشيط الحركة العلمية حيث لا يمكن للعلم أن يزدهر إلا حيث تنتشر هذه المراكز ، و من خلال عرضنا السابق للمؤسسات التعليمية في حواضر المغرب الأوسط المعنية بالدراسة ، رأينا تعدد أشكال المؤسسات التعليمية من كتاتيب و مساجد و زوايا و مدارس .

و رأينا تعدد الأهداف المرجوة وراء كل مؤسسة تعليمية ، فهناك الكتاب لتحفيظ القرآن و معرفة أساسيات الدين الإسلامي ، و اختصت هذه المنشأة بتعليم الصبية فقط[1] ، ظلت هذه المؤسسة من أهم مراكز التعليم في مختلف العهود (2هـ-9هـ/8م – 15م) ، فلم يخل عهد منها لقيامها بأمر عظيم و هو تعليم الأطفال القرآن بصفة خاصة [2] .

و قد حدثتنا المصادر الإباضية في هذا الموضوع عن اهتمام الأئمة الرستميين بتعليم أولادهم العلم منذ صغرهم ، فقد ذكر محمد بن أفلح أنه درس على أبيه قبل بلوغه الحلم ثلاث حلق يتعلم فيها فنون العلم من الكلام و اللغة و الفقه [3] .

---

[1] محمد سحنون : المصدر السابق ، ص33 .

[2] عبد الله الدائم : المرجع السابق ، ص 146 .

[3] الشماخي : المصدر السابق ، ص 189 .

اكتفت هذه المصادر بهذا الكلام بالنسبة للأئمة أو حتى العلماء ، فعند ذكر ترجمة عن أي عالم ، تكتفي بأنه تعلم في صغره في قريته ، و أتم فيها المرحلة الأولى من الدراسة و بعدها يقصد لطلب العلم من مختلف الأمصار الأخرى .

هذا ما يوضح لنا أن الكتاتيب و التي نقصد بها المرحلة الأولى من الدراسة كانت منتشرة في القرى أين يتلقى فيها الصبية المبادئ الأولية للعلوم ، و ينال العامة نصيبهم من العلم و الثقافة أما في بجاية في العهد الحمادي فعرفت هذا النوع من المؤسسات التعليمية باسم " الشريعة " و كانت تنتشر خاصة في البادية [1] .

وفي تلمسان كغيرها من حواضر المغرب الأوسط ، لم تخرج عن الوضع العام ، فقد أسست الكتاتيب لتعليم الصبيان و تميزت هذه الفترة عن غيرها بكثرة هذه المؤسسة وصلت في أواخر أيامها خمسين مدرسة [2] .

لاحظنا أن هذه المؤسسة لم تتطور فقد حافظت على شكلها البسيط ، والذي كان غالبا بجوار المساجد و لم يختل دورها الذي تمثل في تعليم الصبيان ، ولم يكن يقتصر التعليم فيها على الذكور فقط ، فلقد كان حظ الإناث في التعليم أيضا .

و من الكتاب و معرفة أساسيات الدين الإسلامي إلى المسجد الجامع و دراسات أكثر تعددا و تعمقا فقد ارتبط النظام التعليمي الإسلامي بشكل وثيق بالمساجد بالإضافة إلى كونه مكانا للعبادة و إدارة شؤون المسلمين .

---

[1] عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص253 .

[2] ملتقى دولي بتمسان –تلمسان الإسلامية ، ج1 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، تلمسان 2011 ، ص 109 .

فلقد ارتبطت الحياة الفكرية في عصر بني رستم ارتباطا كبيرا بالمذهب الإباضي ، و شهدت مساجد تيهرت نشاطا علميا كبيرا تمثل في الحلقات التي انتشرت بكثرة في مساجد تيهرت وكان الهدف منها نشر ثقافة المذهب الإباضي ، بالإضافة إلى المناظرات و جلسات الجدل التي انتشرت في مساجد تيهرت بين الفرق و المذاهب الأخرى [1] .

فقد أكسب هذا النشاط العلمي أهمية كبيرة للمسجد في تيهرت ، و يعود هذا لعناية الأئمة الرستميين بها ، كما كانوا عنصرا فعالا و هاما ساهموا بإبراز الجانب الثقافي التعليمي للمسجد فلقد كانوا يتولون التدريس فيها .

أما في العهد الحمادي فظل المسجد يبرز دوره الريادي و لكن ليس بنفس النشاط الذي عرفته مساجد تيهرت من قبل و إن كان مستحيل علينا رسم صورة كاملة عن النشاط الفكري لمساجد بجاية لانعدام مصادر متخصصة في هذا المجال و إن وجدت و إنما هي مصادر تراجم لبعض الأعلام تتضمن إشارة حول نشاط العلماء في المساجد كمفتي أو إمام أو يلقي الدروس كما لم تذكر المصادر لنا عن نشاط الحكام الحماديين على غرار الأئمة الرستميين فالإضافة إلى دورهم السياسي برزوا في العلم ، فاقتصر دور الحماديين على البناء و تشييد المساجد بطريقة معمارية فنية تعني بها الشعراء .

كما استمرت تلك العناية إلى غاية العهد الزياني ، الذي تميز بانتشارها و كثرة عددها و ترجع تلك الكثرة إلى عناية حكام بني زيان بانشائها كما نجد اهتمامهم بتلك التي ورثتها الدولة الزيانية عن الدول التي سبقت حكمها لتلمسان كالأدراسة و المرابطين و الموحدين ، فاهتم الزيانيون بتعديلها و ترميمها .

و تميزت مساجد تلمسان بدقة البناء و جمال الزخرفة ، فظهر عليها التأثير الأندلسي .

اجتمعت هذه المساجد في العهود المختلفة على نقاط توافق تمثلت :

[1] عيسى الحريري : المرجع السابق ، ص 236 .

كان لهذه المساجد دور كبير في اخراج جلة من العلماء البارزين و ذو شهرة واسعة في مختلف العلوم فقد كان يشرف التدريس بها علماء و فقهاء أكفاء .

كانت الدراسة في المساجد تمثل المرحلة الثانية– مرحلة التخصص – بعد استكمال المرحلة الأولى التي تمثلت في الكتاتيب .

أما عن طبيعة المواد المدرسة فيها في الغالب ذات طبيعة دينية محضة ، مع إضافة علوم أخرى .

كانت لهذه المؤسسة التعليمية صدى كبير ، يحج إليها العلماء من مختلف الأقطار للتعليم من مدرسيها أو للتدريس بها .

من مؤسسات التعليمية نجد المكتبات إن الحركة العلمية لا يمكن أن تنمو أو تزدهر بمعزل عن مصادر المعرفة فاهتموا بجمع الكتب إما عن طريق شرائها من المشرق مثلما فعل الإمام الرستمي عبد الوهاب بجلب العديد من الكتب ، أم عن طريق نسخ الكتب التي تدخل بلاد المغرب الأوسط و تخزينها في المكتبات .

اشتهرت تيهرت بمكتبتها الشهيرة " المعصومة " و الدليل على ثراءها ما كتب في المصادر التاريخية عن قيام أبو عبد الله الشيعي بحرق كل ماله علاقة بالمذهب الإباضي و أخذ كل ما يخص العلوم العقلية .

و هذا دليل على كثرة المصنفات المعتمدة في الحياة الدراسية عندهم و تنوع هل كما لم تخلو بجاية من هذا النوع من المراكز ، فوجدت مكتبة مليئة بالكتب في بجاية بجامع المنار ، حملت من مختلف الأقطار أضف إلى ذلك اهتمام ملوك بني زيان بتعمير المكتبات ، ومن الأمثلة على ذلك أن أبا حمو موسى قد أسس خزانة مليئة بالكتب للطلبة الراغبين في العلم .

لم تتوفر لدينا معلومات وافية حول عدد المكتبات التي أنشأت في العهد الرستمي أو الحمادي ببجاية بل اكتفت المصادر بذكر المشهورة منها .

إلا أن في العهد الزياني بتلمسان كما أشارت إلى عدد كبير مقارنة بالحواضر السابقة أهم بإنشاءها و رعايتها الحكام الزيانيين .

أما عن أمكنة تواجدها فالغالب تكون داخل المساجد بزاوية معينة سميت في تلمسان بالخزانة ، أما عن مكتبة المعصومة فيبدو أنها مؤسسة قائمة بحد ذاتها .

إضافة إلى المؤسسات التعليمية السابقة فقد ازدهر العلم و التعليم في أماكن أخرى منها الزوايا التي لم تكن منتشرة في العهد الرستمي فظهرت حوالي القرن 6هـ / 12 م و ارتبط ظهورها في العهد الحمادي ببجاية و الزياني بتلمسان بظاهرة التصوف ، فقد غلب على هذا النوع من المؤسسات التربوية الطابع الصوفي ، و عرفت انتشار أكبر في العهد الزياني خاصة بعد ظهور زهاد ذاع صيتهم في البلاد .

مع تطور و تنوع العلوم و شدة إقبال الناس على حلقات العلم فلم يكن به حينئذ من انشاء مؤسسة تواكب تطور العلوم ، فكانت نتيجة لذلك ظهور المدارس التي ظهرت في العهد الزياني حوالي القرن 8هـ/14م ولم تعرف العهود السابقة هذا النوع من المؤسسات التعليمية حيث كان انتشاره فقط في العهد الزياني ، و هذا يبين ما مدى تطور العلوم و طرق التدريس من القرن 2هـ إلى غاية القرن 9 هـ و مع هذا عرف المغرب الأوسط تأخرا في ظهورها بالنسبة لجيرانها في المغرب الأقصى و المغرب الأدني ، كان اهتمام الحكام الزيانيين بها كبيرا فقد شيدوا مجموعة كبيرة ذات مستوى علمي كبير أنشأها الحكام الزيانيين تخليدا العلماء و لحكام .

المبحث الثالث : دراسة مقارنة بين العلوم و العلماء :

إن الحديث عن دراسة المقارنة بين حواضر المغرب الأوسط يجد اختلافات عديدة ، خاصة و أن الموقع يختلف و الفترة الزمنية تختلف أيضا .

فالمتصفح لتاريخ المغرب الأوسط في العهد الرستمي يجده من أزهى العصور ثقافيا و حضاريا لاسيما في تيهرت التي كانت تستقطب العلماء في الفكر و الأدب و الثقافة .

فقد ظهر بها عدد كبير من العلماء ، كتب التراجم تذكرهم واحد يواحد حتى أننا ذكرناهم في الفصل الأول . إلا أن الحياة العلمية و كل ما يتعلق بها من علوم و علماء و حتى مؤسسات تعليمية كانت ناقصة في بجاية الحمادية بمعنى أنها لم تكن كتلمسان أو تيهرت و لأن الباحثين لم يعطوها ما تستحق من الدراسة رغم أنها شهدت مرحلة من الإستقرار و عرفت موجة من الرحلات العلمية منها و إليها ، إلا أنها لم تكن كجيرانها في المغرب .

عرفت تلمسان علوم مختلفة منها الدينية و العقلية و تميزت بالخصوص بالعلوم الدينية .

حتى غدت تلمسان دار للعلماء و المحدثين ، وحملة الرأي على مذهب مالك ابن أنس رحمه الله " .

كما اعتنى سلاطينها بالعلم و العلماء فكان التعليم منتشرا في المدن و القرى ، وكان الدروس تقام في المساجد ، فكانت حاضرة يؤمها العلماء و الأدباء و الشعراء تشد إليها الرجال بطلب العلم .

و هذا راجع إلى الاستقرار و الأمن و هذا ما تحتاج إليه أي دولة لتهتم بجوانب أخرى كثقافة و العلم .

بداية فقد كان بعض حكامها علماء و خاصة أدباء و شعراء فقد أولو رعايتهم بالعلوم و العلماء بحيث كانوا يستقدمون العلماء إلى مجالسهم و يتنافسون على الكتاب و الفقهاء .

و كتب التاريخ حافلة بقصص الحكام و رأينا هذا في الفصل الثالث من المذكرة بحيث كانوا يستقبلون العلماء بأنفسهم و يرجون منهم أن يعم علمهم أرض تلمسان.

أما العلوم العقلية فقد شهدت تيهرت خاصة انتشار علم الفلك فقد كان الأئمة يهتمون بهذا العلم أكثر من العلوم العقلية الأخرى حتى قال أحدهم معاذا الله أن تكون عندنا أمة لا تعرف منزلة يبيت فيها القمر[1] رغم أن هذا العلم مرتبط نوعا ما بالعلوم الدينية لأن بهذا العلم نعرف مواقيت الصلاة و الصوم و الأشهر المعلومات .

[1] الشماخي : المصدر السابق ، ص 125 .

الخـاتـمـة

خاتمة :

إن المغرب الأوسط يزخر بعدة حواضر و مراكز ثقافية و التي لعبت دورا كبيرا في تنشيط الحياة الثقافية و هي بذلك لا تختلف عن مثيلاتها في المشرق الإسلامي أو جاراتها في المغرب الإسلامي .

و تيهرت من الحواضر التي تطرقنا إليها و هذا لمكانتها العلمية في المغرب الأوسط فهي مركز من المراكز الثقافية التي نالت شهرة على صعيد العالم الإسلامي ، و هذا لأن مؤسسها من المشرق الذي جاء بمذهب جديد بعدما رأى الأرضية الخصبة في المغرب خاصة و أنه بعيد كل البعد عن الخطر العباسي في المشرق الإسلامي .

كما أن حكام الدولة الرستمية هم نفسهم علماء يحبون العلم و يجلونها ، بحيث كان لهم الدور في بناء الحياة الفكرية في تيهرت ، كما أولو عناية كبيرة بالعلماء بمعنى أن البيت الرستمي كان يعج بهم إلى جانب هذا كانت المساجد و حلقات العلم تقام بها بحيث ساهمت في نشر العلوم و أيضا الكتاتيب التي كانت بمثابة المدارس الابتدائية التي يتلقى فيها الصبية مبادئ اللغة العربية و حفظ القرآن الكريم و سيرة المصطفى عليه أزكى الصلاة و السلام ، كما عرفت العلوم خاصة الدينية منها انتشارا واسعا اذ ظهرت على آيدي علماء و فقهاء و أدباء أجلاء .

و نتيجة أخرى أيضا تضاف إلى سجل الدولة الرستمية و هي أن حكامها كانوا على صلة دائمة رغم عددهم القليل مع المشرق من العلماء الإباضية إذ كانوا يبعثون لهم الكتب الدينية الخاصة بالمذهبهم و أيضا كتب أخرى حتى امتلأت رفوف مكتبتهم و كان الحكام يقرؤن مسائل إذ كانت لا تصعب عليهم و لا مسألة .كما كانوا يناظرون الناس في أمور دينهم و دنياهم و هذا دليل على باعهم الطويل في العلم .

و أيضا كان هناك عدة علماء و في جميع التخصصات (أي العلوم العقلية و النقلية)

كانت العلوم الدينية في الدولة الرستمية أكثر انتشارا من العلوم العقلية .

و النتيجة الأساسية المتوصل إليها هي أن تيهرت هي أول دولة مستقلة في المغرب الأوسط عن الخلافة الإسلامية في المشرق .

أما بجاية الحمادية التي حلت محل القلعة فهي ثاني عاصمة للدولة الحمادية ، فقد شهدت نشاطا فكريا علميا بلغ الأفاق إلا أن هذا النشاط لم يكن بقدر الحركة العلمية التي عرفتها تيهرت الرستمية و تلمسان الزيانية . كما كانت الزوايا التي انتشرت بكثرة في بجاية لها الدور في تثبيت العقيدة الإسلامية في نفوس البربر ، إضافة إلى الزوايا كانت المساجد دارا للعلماء و مقصدهم خاصة بعد تغيير العاصمة من القلعة إلى بجاية فقد كان العلماء و الفقهاء و الشعراء يلتجئون إليها ، احتضان بجاية لمختلف التخصصات العلمية من العقلية و الدينية .

كما شهدت ازدهار العلوم الدينية و اللغوية خاصة و هذا راجع إلى أثر العرب الهلالية على تحسين لسان البربري و تعويدهعلى اللغوة العربية و حكام الدولة الحمادية كانوا رجال فكر يجتمع في قصورهم أشهر العلماء ، كما ظهرت الحركة التأليف و حفلت كتب التاريخ بأسماء عديدة من العلماء .

أما عن تلمسان الزيانية كانت من الحواضر التي فاقت شهرتها حواضر المغرب ، كما أن فترتها التاريخية كانت حاسمة فبسقوطها غلقت العصر الوسيط و فتحت العصر الحديث ، كما جاءت على أنقاض دولة الموحدين العظيمة ، و كانت تلمسان من المراكز الثقافية الكبيرة بفضل حكامها العظام الذين عرفوا كيف يسيروا أمور الدولة سياسيا و ثقافيا و في جميع الميادين ، فكانت تلمسان الزيانية من الحواضر التي فاقت شهرتها الحواضر المغرب أما عن العلوم المنتشرة فيها فقد غلب عليها طابع الديني و كانت العلوم الدينية أكثر انتشارا من العلوم العقلية .

و النتيجة المتوصل إليها أن الفترة الزمنية التي حكمتها الدولة الزيانية كانت أكثر بكثير من الفترة الزمنية التي حكمتها كل من الدولة الرستمية و الدولة الحمادية .

قائمة الملاحق

ملحق رقم 1 : حكام الدولة الرستمية [1]

1-عبد الرحمن بن رستم (160 هـ – 171 هـ / 776 م -787 م)

2-عبد الوهاب بن عبد الرحمن (171 هـ – 208 هـ / 787 م – 826 م)

3-أفلح بن عبد الوهاب (208 هـ – 258 هـ / 826 م – 854 م)

4-أبو بكر بن أفلح (258 هـ – 261 هـ / 855 م – 858 م)

5-أبو اليقظان بن أفلح (261 هـ – 281 هـ / 858 م – 894 م)

6-أبي حاتم يوسف بن أبي اليقظان (281 هـ – 294 هـ / 894 م – 906 م)

[1] محمد عيسى الحريري : المرجع السابق ، ص 91 – 109 -139-155-166-174 .

ملحق رقم 2 : حكام الدولة الحمادية [1]

1-حماد بن بلكين ت	419 هـ (1028 م)
2-القائد بن حماد	446 هـ (1054 م)
3-محسن بن القائد	447 هـ (1055 م)
4-بكين بن محمد بن حماد	454 هـ (1062 م)
5-الناصر بن علناس	481 هـ (1088 م)
6-المنصور بن الناصر	498 هـ (1104 م)
7-باديس بن المنصور	500هـ (1106 م)
8-العزيز بن المنصور	515هـ (1121 م)
9-يحي بن العزيز	547 هـ (1152 م)

[1] عبد الحليم عويس : المرجع السابق ، ص 287 .

ملحق رقم 3 : حكام الدولة الزيانية [1]

1- أبو يحي يغمراسن بن زيان 633 هـ -681 هـ / 1236 م – 1286 م

2- أبو سعيد عثمان (الأول) 681 هـ – 703 هـ / 1286 م – 1303 م

3- أبو زيان محمد (الأول) بن عثمان 703 هـ – 707 هـ / 1303 م – 1307 م

4- أبو حمو موسى (الأول) بن عثمان 707 هـ -718 هـ / 1307 م -1318 م

5- أبو تاشفين عبد الرحمن (الأول) ابن موسى 718 هـ – 736 هـ/1318 م -1336م

تلمسان تحت السيادة المرينية

- أبو الحسن علي 736 هـ – 737 هـ / 1336 م – 1337 م
- أبو عنان فارس 737 هـ – 760 هـ / 1337 م – 1359 م

حكام بني زيان بتلمسان

6- أبو حمو موسى (الثاني) 760 هـ – 761 هـ / 1359 م

7- أبو تاشفين عبد الرحمن (الثاني) 791 هـ – 795 هـ / 1389 م -1393 م

8- أبو ثابت يوسف بن عبد الرحمن (أربعون يوما) 795 هـ / 1393 م

9- أبو الحجاج يوسف بن موسى (عشرة أشهر) 795 هـ / 1393 م

10-أبو زيان محمد (الثالث) 796 هـ / 1393 م

و بعدها يأتي حكام القرن التاسع و العاشر إلى أخر حكامها الحسن بن عبد الله (الثاني) 957 هـ / 1550 م و سقوطها نهائيا سنة 962 هـ

[1] ابن الأحمر: المصدر السابق ، ص55 .

الملحق رقم 4: خريطة تيهرت الرستمية[1]

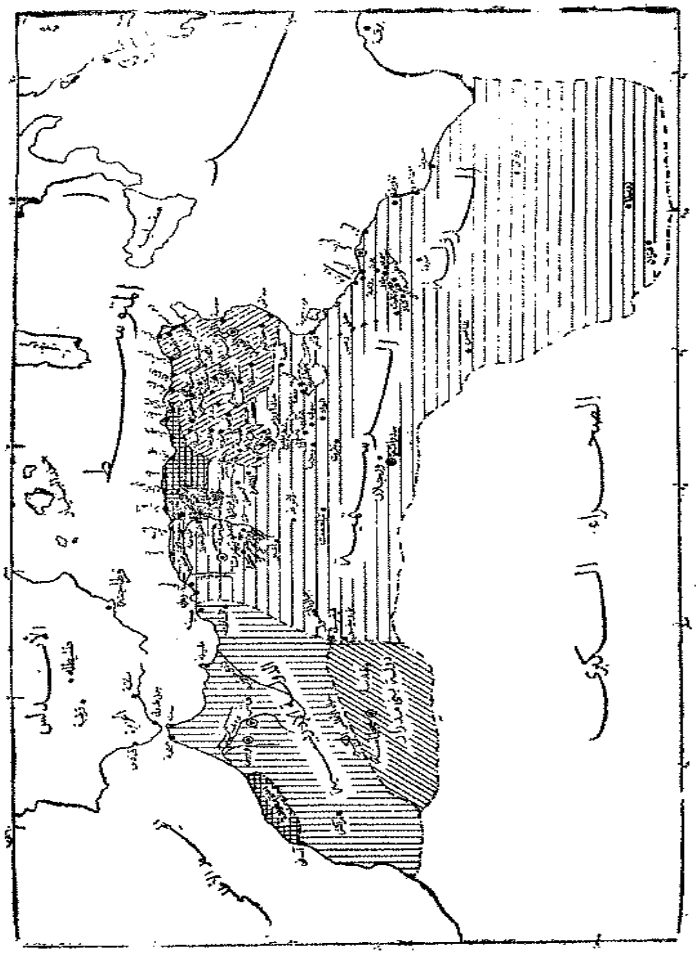

[1] محمد عيسى الحريري : المرجع السابق ، ص 248 .

الملحق رقم (5) : مخطط بجاية الحمادية[1]

[1] عبد الكريم عزوق : المرجع السابق ، ص197.

ملحق رقم 6 :مخطط تلمسان في القرن 9 هـ[1] .

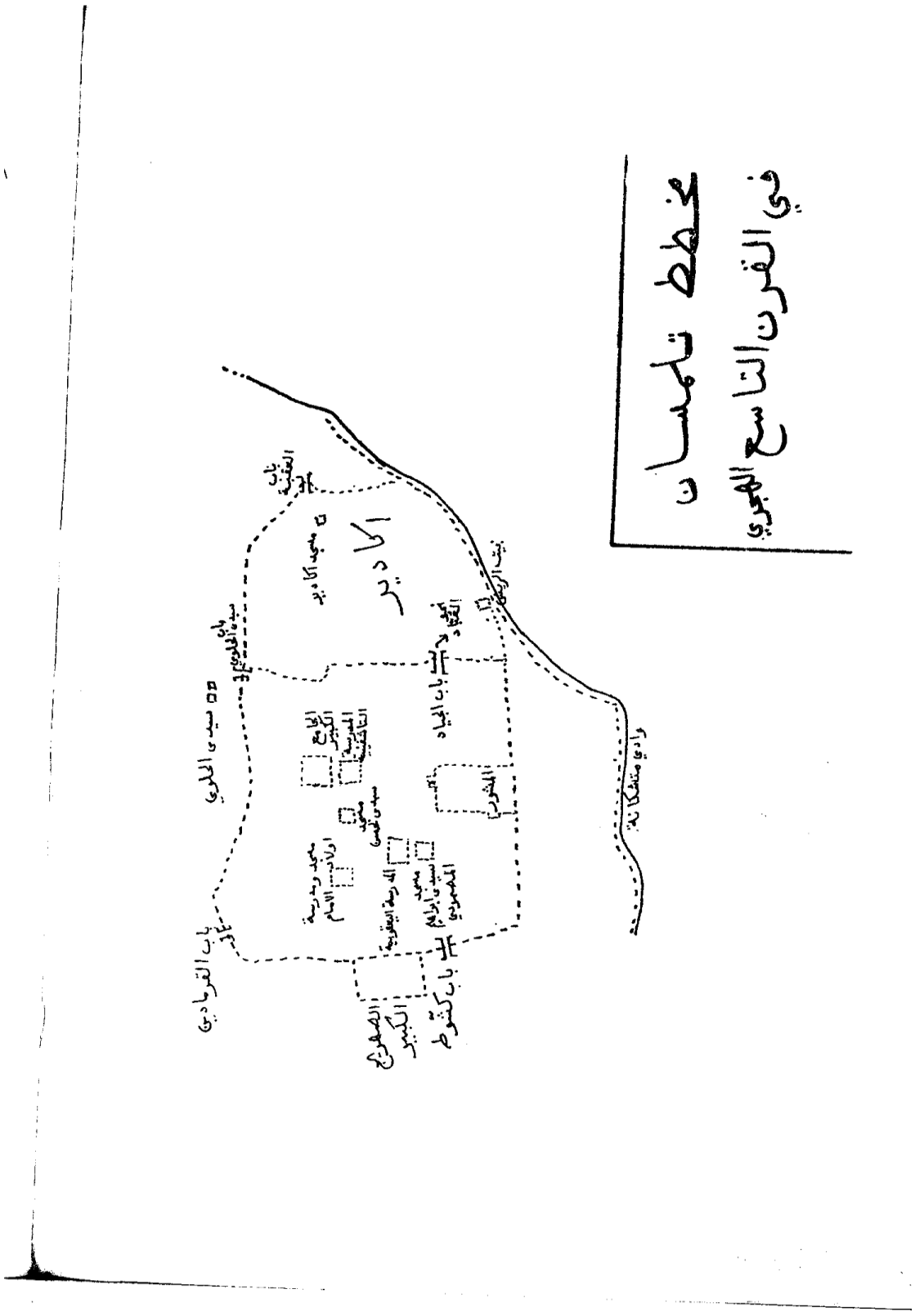

[1] التنسي : المصدر السابق ، ص 292 .

الملحق رقم 7 : محراب الجامع الأعظم بتلمسان الزيانية[1]

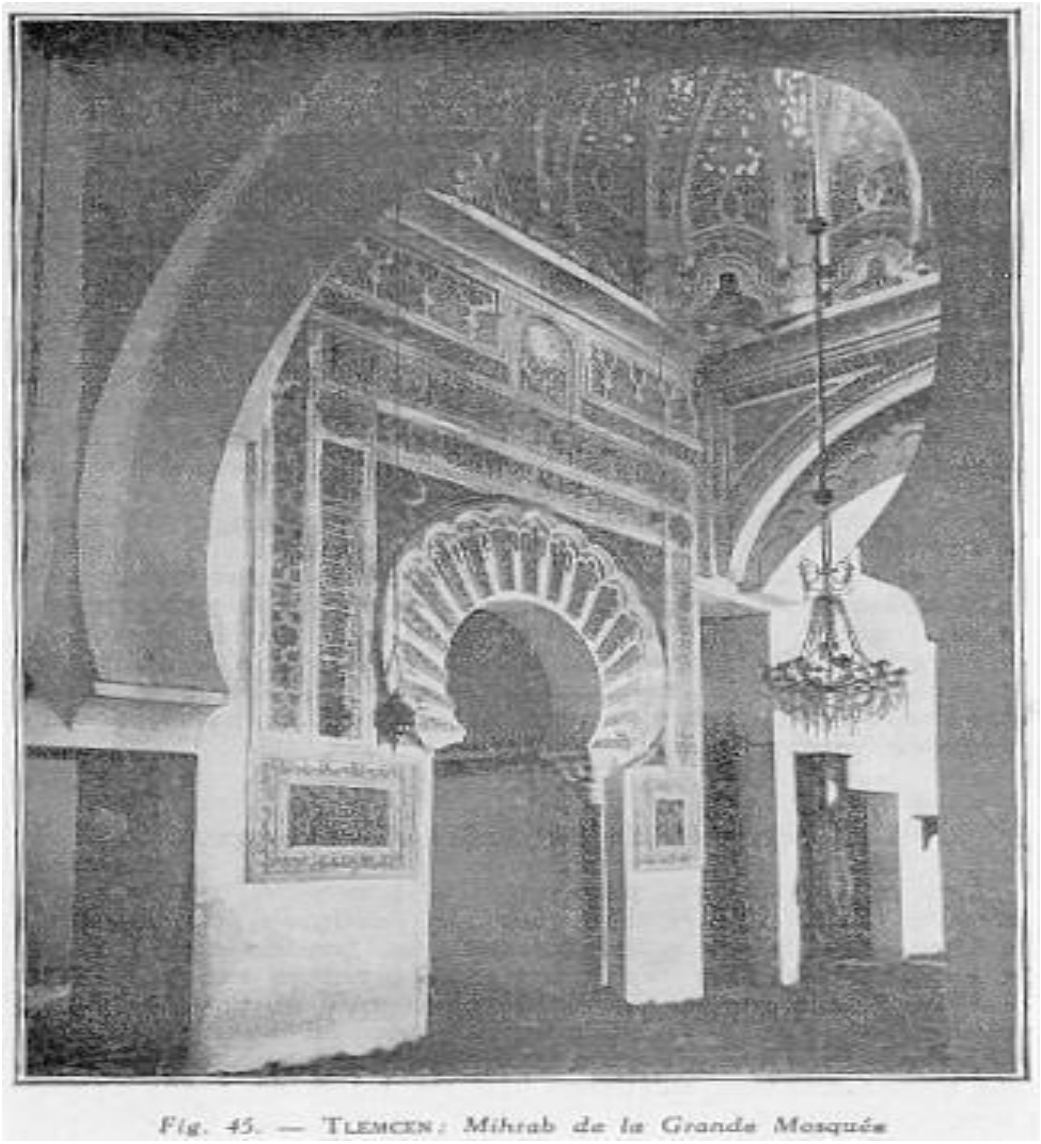

Fig. 45. — TLEMCEN : Mihrab de la Grande Mosquée

1) A. berque : art antique et art musulman en algerie , publication du comité national metropolitan du centenaire de l'agérie,p66 .

الملحق رقم (8) : المدرسة التاشفينية بتلمسان الزيانية[1]

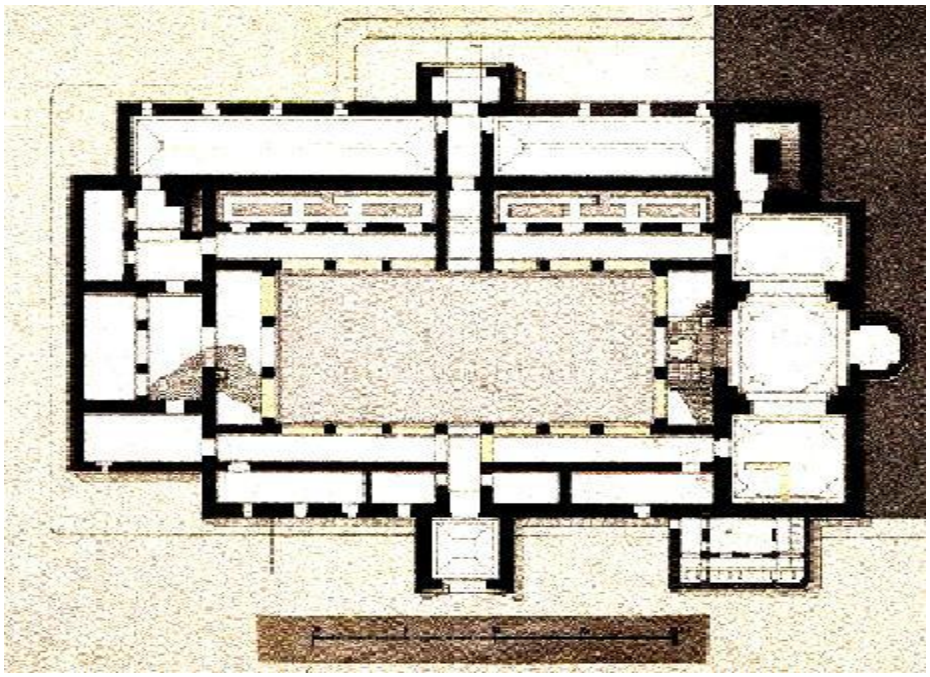

1) Lachachi amina : opcit , p 91 .

فهرس الأماكن

و الأعلام

فهرس الأماكن :

- أ-

إسبانيا : ص 62 .

الأغادير: ص79-94 .

اغمات : ص 80.

إفريقية : ص44-51-54-62-70-111.

الأندلس : ص 12 – 44-55-57-65-68-70-74-75-85-97-132 .

أوروبا : ص132 .

- ب -

بجاية : ص 43-44-45-46-47-48-49-50-51-52-53-54-55-57-58
59-60-62-63-64-65-67-68-69-70-71-72-73-74-75-76-77
111-123-124-126-127-129-130-132 .

البحر المتوسط : ص 44.

البصرة : ص 31-22-34.

بغداد : ص101 .

- ت -

تاهرت : ص 11-12-15-16-19-28-31-32-33-35-38-41.

تلمسان : ص 56 -78-79-80-81-82-83-84-85-86-87-88-89-90-91
93-94-99-102-105-124-125-126-127-128-129-130-131-132.

تونس : ص 89-90-111 .

تيهرت : ص 11-12-13-14-15-16-18-19-20-21-22-23-27-28-30-
31-32-33-35-36-39-40-41-124-126-128-129-131-132.

- س -

سطيف :ص 12.

- ط -

طرطوشة : ص 44.

- غ -

غرناطة : ص 89-90.

- ف -

فاس : ص 80 -89-90.

- ق -

قسنطينة : ص 44.

القيروان : ص 15-16-30-41.

- م -

المسيلة : ص 11.

المشرق الإسلامي : ص 22 .

مصر : ص 15.

المغرب الأدنى: ص 101 .

المغرب الإسلامي : ص 11-19-24-43-48-58-66-70-71-85-100-101-107-110-119.

المغرب الأقصى : ص 11-41-94-101-130.

المغرب الأوسط : ص 11-12-13-18-28-34 -43-45-48-5470-72-81-85-90-95-98-101-103-106-109-110-111-112-123-124-126-127-129-130-131-132.

المغرب: ص 11-14-16-20-30-34-38-39-43-48-54-55-61-63-66-68-79-80-82-97-102-112-115.

ميناء المرسى الكبير: ص82 .

- هـ -

هنين : ص 80.

- و -

وهران : ص 80-81 .

فهرس الأعلام :

-أ-

أب حامد الغزالي : ص 112-121.

أبا الفارس عبد العزيز بن عمر بن مخلوف أبي علي المسيلي : ص 60.

أبا القاسم محمد بن اندارس : ص75.

أبا بكر بن أبي الفتوح : ص 51.

أبا حمو موسى : ص74 – 84-91-96-99-100-104-114-115-116-117-118.

ابراهيم المصمودي : ص 95-105 .

ابن ابي المليح الطيب : ص 72.

ابن الأثير : ص 49.

ابن الإمام : ص 89-90-95-102-108 .

ابن الحبيب : ص 34.

ابن الخطاب المرسي : ص 114 .

ابن الخطيب : ص 55 -56 -57.

ابن الصغير: ص 33 .

ابن العلمي البجائي : ص 77.

ابن الفحام : ص 120 .

ابن النباش البجائي : ص 76 .

ابن الهرمة الأديب الفكاهي : ص41 .

ابن تومرت : ص112 .

ابن حمديس الصقلي : ص 73.

ابن حوقل : ص 11.

ابن خلدون : ص 15-57-61-68-74-85.

ابن خميس التلمساني : ص115 .

ابن سينا : ص 76.

ابن عذاري : ص 15.

ابن عطية الأندلس : ص 107 .

ابن مرزوق الحفيد : ص 109 -111 .

ابن مرزوق الخطيب : ص117 .

ابني الإمام : ص98-90-95-102-108.

أبو بكر ابن حماد : ص 13.

أبو تاشفين : ص 84-85-90-103-104-116.

أبو حمو موسى الأول : ص 89-90-95-102 .

أبو زيان محمد الثاني : ص92.

أبو سهل الفارسي : ص 38.

أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سمك بن اسماعيل الزياني التاهرتي : ص 35 .

أبو عبد الله التلمساني : ص 107 .

أبو عبد الله محمد ابن يوسف الثغري التلمساني :ص 115 .

أبو عبيد الله : ص 12.

أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي : ص68.

أبو عنان : ص 91 .

أبو محمد عبد الحق الاشبيلي المهدي بن تومرت : ص60 – 69-72.

أبي إسحاق إبراهيم بن خلف التنسي : ص 87-96-109-118.

أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري : ص 14-15

أبي العباس احمد بن البنا : ص119 .

أبي القاسم إسماعيل بن يربوع السبتي : ص 67.

أبي القاسم عمر الزمخشري : ص 107 .

أبي تاشفين الثاني : ص 92.

أبي تاشفين الثاني : ص 92 .

أبي حاتم يوسف : ص 26-27.

أبي حفص عمر بن فلفول : ص71-72.

أبي حمو موسى الأول : ص 89-90-95-102 .

أبي زكريا : ص 19 – 22-24-25-101 .

أبي عبد الله البخاري : ص 109 .

أبي عبد الله بن صمد التلمساني : ص 118 .

أبي عبد المالك بن مروان البوني : ص67.

أبي عبيدة الأعرج : ص 36-37-39.

أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة : ص 34.

أبي عمران الفاسي : ص 67.

أبي غانم الخرساني : ص 31.

أبي محمد عبد الله بن الحجاج بن الياسمين : ص 119 .

أبي مدين شعيب : ص 113 .

أبي مدين شعيب : ص95.

أحمد بن خصيب بن أحمد الأنصاري : ص 67 .

أحمد بن زاغو : ص 108 .

أحمد بن يحي بن علي الونشريسي : ص111 .

أحمد فتح المعروف بابن الخراز التاهرتي : ص41

إدريس الأول : ص 94-103 .

الإدريسي : ص 10 -45 - 79.

الإمام يعقوب بن أفلح : ص26 .

إمام يوسف : ص38 .

ايغمراسن : ص 73-87-81-88-95-96-98.

- ب -

باديس بن المنصور : ص48 .

بكر بن حماد التاهرتي : ص 41 .

البكري : ص 52 .

البيزي لوناردو فيوناتشي : ص 79.

- ت -

تميم بن المعز : ص 49 -50-51-54 .

- ج -

جابر ابن يوسف : ص 83 .

جودت عبد الكريم : ص 25.

- حـ -

الحسن : ص 83.

الحسن ابن مخلوف : ص 99 .

الحسن المريني : ص 84 -90-95.

حسن الوزان : ص 46 .

حماد بن إبراهيم بن أبي يوسف المخزومي : ص 74.

حماد بن بلكين : ص48-54.

الحميري : ص45 -46 .

- خـ -

الخضر : ص 82 .

- ر -

الرسول (ص) : ص 92 .

- ز -

الزهري : ص 79 .

زيدان بن زيان : ص 83 .

- س -

سعيد بن أشكل التيهرتي : ص 41 .

- ش -

الشماخي : ص 22 -25 -26-37-42.

- ع -

عبد الرحمن بن رستم : ص 10-12-15-16-19-20 -21 .

عبد الله ابن مسلم ابن قتيبة : ص39 .

عبد الله الأبلي: ص 120-121 .

عبد الله الشيعي : ص 17.

عبد الله بن اللمطي : ص 37 .

عبد الله محمد بن أبي دفرير: ص 71 .

عبد المؤمن : ص 83 .

عبد الوهاب ابن عبد الرحمن ابن رستم : ص21 -22 -23 -30-31-33-36-37-40-42.

العبدري : ص 44-60 .

عثمان : ص 83-88.

العزيز بن المنصور : ص56.

علي ابن الزيتوني : ص 71-72.

علي بن أبي الوجال التاهرتي : ص76 .

علي بن يوسف : ص95 .

عمر بن البذوخ أبو جعفر القلعي : ص 76.

عمر بن عبد الله بن زاهر: ص 67 .

عمروس بن فتح المساكني النفوسي : ص 31-36.

- غ -

الغبريني: ص75 .

الغزالي : ص 112 -121 .

- ق -

قاسم بن سعيد بن محمد العقباني : ص 99-108-119 .

- م -

مالك ابن انس : ص 109 .

المأمون : ص 83 .

محمد ابن عطية : ص 68 .

محمد بن أحمد الحباك : ص 119 -120 .

محمد بن أحمد الشريف الحسيني : ص 105 .

محمد بن أحمد المقري الجد : ص 113.

محمد بن أفلح : ص 25-126.

محمد بن الأشعث : ص 14.

محمد بن البعبع : ص51.

محمد بن النجار : ص 120.

محمد بن حسن بن مخلوف ابركان : ص 110 .

محمد بن عبد الكريم المغيلي : ص 109-110 -121 .

محمد بن محمد بن أبي بكر القلعي : ص 77

محمد بن يانس : ص33.

محمد بن يوسف السنوسي : ص 120-121 .

محمد علي ديوز: ص22-23 .

مسلم بن الحجاج : ص109.

المعز لدين الله الفاطمي : ص 54.

المنصور ابن الناصر ابن علناس : ص44-49-50-51-54-55-58-62-74.

موسى المشدالي : ص 90 .

موسى بن حماد الصنهاجي : ص67.

موسى عليه السلام : ص 82 .

- ن -

نظام المالك : ص 101 .

- ي -

ياقوت الحمودي : ص 10- 11 - 12-79.

يحي بن أبي عمران موسى ابن عيسى المازوني : ص 111 .

يحي بن العزيز : ص 53.

يعقوب بن عبد الحق : ص 101 .

يهوذ ابن قريش : ص 39.

يوسف ابن تاشفين : ص95 .

يوسف بن المبارك : ص 71-72.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر :

القرآن الكريم :

سورة الكهف ، الآية 77 .

الكتب :

1-ابن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس ، صور للطباعة و الوراقة ، الرباط 1972 .

2- ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس أحمد ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء تحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

3- أبي الفدا عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر ، تقويم البلدان ، تصحيح رينود و البارون ماك كوكين ، دار الطباعة السلطانية ، باريس 1830 .

4- أبي زكريا يحي بن أبي بكر ، سير الأئمة و أخبارهم ، تحقيق و تعليق إسماعيل العربي المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 1979 .

5- ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد الشبياني ، الكامل في التاريخ ، مراجعة محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية بيروت ، ط1 ، 1987 ، مج8.

6- ابن الأحمر ، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، تقديم هاني سلامة ، ط1 ، مكتبة الثقافية الدينية مصر ، ط1، 2007 .

7-الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، تحقيق محمد حاج صادق ، بلجيكا ، 1983 .

8-الاصبهاني عماد الدين ، خريدة القصر و جريدة العصر ، قسم شعراء المغرب ، تحقيق محمد المرزوقي و آخرون ، ط3 ، الدار التونسية للنشر ، 1986 م .

9- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك، الصلة ، تحقيق ، إبراهيم الأبياري دار الكتاب المصري ، ط1 ، القاهرة ، ج1.

10- البغدادي أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد، الفرق بين الفرق ، دار المعرفة بيروت ، ط2 ، 1997 .

11- البكري أبي عبيد الله بن العزيز ، المسالك و الممالك ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .

12- البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي ، أخبار المهدي بن تومرت ، دار المنصور للطباعة و الوراقة الرباط ، 1971 .

13- التمبكتي أحمد بابا ، نيل الإبتهاج في تطريز الديباج ، إشراف و تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، ط1، طرابلس .

14- التنسي محمد بن عبد الله ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ، تحقيق و تعليق محمود آغا بوعياد موفم للنشر ، الجزائر ، 2011 .

15- الجوزي عبد الرحمن ، المنتظم في تاريخ الأمم و الملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا ، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، لبنان ،ج17 ، 1992 م .

16- الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت ، معجم البلدان ، المجلد الثاني ، دار صادر بيروت .

17- الحميدي أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، د ط ، 1966 م .

18- الحميري محمد بن عبد المنعم ، المروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس مكتبة لبنان ، 1975 .

19- ابن الخطيب لسان الدين ، أعمال الأعلام ، قسم تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط تحقيق أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1964 .

20- ابن خلدون عبد الرحمن ، ديوان المبتدأ أو الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، 7أجزاء ، دار الفكر بيروت ، 2000 .

21- ابن خلدون يحي ، بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد ، ج1 ، الجزائر ، 1903 .

22- ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، وفيات الأعيان في أنباء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، 6 أجزاء بيروت .

23- الدباغ عبد الرحمن ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، ج2 ، تحقيق محمد الأحمدي و محمد ماضور ، مكتبة الخانجي ، مصر ، (د ت) .

24- الدرجيني احمد سعيد ، طبقات مشائخ المغرب ، تحقيق إبراهيم طلاي ، ج1.

25- الزهري أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ، كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد الحاج صادق مكتبة الثقافية الدينية .

26- سحنون محمد ، آداب المتعلمين ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، تونس ، 1972 .

27- السخاوي محمد بن عبد الرحمن الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، مكتبة القدسي ، القاهرة ج7.

28- السيوطي جلال الدين ، نظم العقيان في أعيان الأعيان ، تحرير فليب حتي ، المكتبة العلمية بيروت ، 1987 .

29- الشماخي عبد الواحد ، السير ، تحقيق أحمد بن مسعود السباحي ، المكتبة الوطنية الجزائرية ، الجزائر ، ج1 ، 1992 .

30- الشهرستاني أبي الفتح محمد ، الملل و النحل ، تحقيق أمير علي مهنا و علي حسن فاعور دار المعرفة ، ط2، بيروت،ج1 ، 1993 .

31- ابن الصغير المالكي ، أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق و تعليق محمد ناصر و إبراهيم بحاز ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1986 .

32- العبدري محمد البلنسي ، الرحلة المغربية ، تقديم سعد بوفلاقة ، منشورات بونة للبحوث و الدراسات ، ط1 ، الجزائر ، 2007 .

33- ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تحقيق ج س كولان وليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، ط3 ، بيروت ، ج1 ، 1983 .

34- العماد الدمشقي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، مجلد 5 ، تحقيق عبد القادر و محمود ارناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق ، (د ت) .

35- الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق و تعليق عادل نويهض ، منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت .

36- ابن فرحون برهان الدين إبراهيم ابن علي بن محمد ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب دراسة و تحقيق مأمون بن يحي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط1 ، 1996 .

37- الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، تحقيق أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد ، دار الحديث القاهرة ، 2008 .

38- القاضي عياض ، ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تعليق و تقديم محمد بن تاويت الطنجي ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، الرباط ، ج3.

39- القزويني ، أثار البلاد و أخبار العباد ، دار صادر ، بيروت .

40- القطان المراكشي ، نظم الجمان من سلف من أخبار الزمان ، تحقيق محمود علي مكي ط2 دار الغرب الإسلامي .

41- القلصادي أبي الحسن علي ، الرحلة ، تحقيق محمد أبو الأجفان ، الشركة التونسية للتوزيع تونس ، 1978 .

42- المالكي بن محمد أبي بكر عبد الله ، رياض النفوس ، تحقيق بشير البكوش دار الغرب الإسلامي ، ط1، بيروت ، ج2، 1983 .

43- المراكشي عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين ، تحقيق محمد سعيد العريان ، مطبعة لندن ، 1881 .

44- مرزوق التلمساني ، المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن ، دراسة و تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ، تقديم محمود بوعياد ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1981م .

45- مريم أبو عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد ، البستان في ذكر الأولياء و العلماء من تلمسان مراجعة محمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 1908 .

46- مقديش محمود ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار ، تحقيق على الزواري و محمود محفوظ ، دار العرب الإسلامي ، لبنان ، ط1، 1988 ، مج1.

47- المقري أحمد بن محمد ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس مج 6 دار صادر ، بيروت ، 1988 ؛ أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق مصطفى السقا و آخرون ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، 1939 .

48- مجهول مؤلف ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر و تعليق سعد زغلول عبد الحميد دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق .

49- الوزان حسن أحمد بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، مراجعة علي عبد الواحد ، المملكة العربية السعودية .

50- الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي ، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية و الأندلس و المغرب ، 13 جزء ، إشراف محمد حجي ، نشر وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية المغرب ، 1981.

قائمة المراجع :

باللغة العربية :

51- أبو زهرة محمد ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

52- أسكان الحسن ، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط ، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ، الرباط ، 2004 .

53- الأهواني أحمد فؤاد ، التربية في الإسلام ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1955 .

54- بن الذيب عيسى ، الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث ، الجزائر ، 2007 .

55- بن قرية صالح ، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث ، الجزائر، 2007 .

56- بورويبة رشيد ، الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1977 .

57- بورويبة و آخرون ، الجزائر في التاريخ – العهد الإسلامي – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1984 ، مج3 .

58- بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط3 ، الجزائر 2009 .

59- بوعياد محمود ، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط ، ق9هـ ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، 1982 .

60- بونار رابح ، المغرب العربي تاريخه و حضارته ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، ط2 .

61- تاديوس ليفيسكي ، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة ماهر و ريما جدار دار الغرب الإسلامي، ط2 ، بيروت ، 2000 .

62- جودت عبد الكريم يوسف ، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1984 .

63- جورج مارسي ، مدن الفن الشهيرة تلمسان ، ترجمة سعيد دحماني ، دار النشر التل ، بليدة 2004 .

64- حاجي خلفية ، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، مجلد (1) ، دار أحياء التراث لبعربي ، بيروت .

65- حاجيات عبد الحميد ، أبو حمو موسى الزياني حياته و أثاره ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط2 ، الجزائر،1982 .

66- الحريري محمد عيسى ، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي ، دار القلم ، ط3 ،الكويت 1987.

67- الحفناوي محمد ، تعريف الخلف برجال السلف ، مطبعة بيير فونتانة الشرقية ، الجزائر 1906.

68- خالدي عبد الحميد ، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر ، دار هومة للنشر و التوزيع الجزائر، 2003.

69- دبوز محمد علي ، تاريخ المغرب الكبير ، مؤسسة تاوالت الثقافية ، 2010 .

70- الدراجي بوزياني ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، 1993 م .

71- ديلاس اوليري ، الفكر العربي و مركزه في التاريخ ، ترجمة إسماعيل بيطار ، دار الكتب اللبناني بيروت ، 1982 .

72- زغريد هونكة ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون و كمال دسوقي دار الجيل ، ط8، بيروت ، 1993 .

73- زغلول سعد عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، منشاة المعارف ، الإسكندرية ،ج3 .

74- شاوش محمد رمضان ، الدر الوقاد ، المطبعة العلوية ، ط1، مستغانم ، 1966 .

75- الشرقاوي عوض ، التاريخ السياسي و الحضاري بجبل نفوسة ، مؤسسة تاوالت الثقافية 2011 .

76- ضيف شوقي ، عصر الدول و الإمارات ، دار المعارف ،ط1 ، القاهرة .

77- الطمار محمد ، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة و حضارة الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 .

78- عبد الدائم عبد الله ، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين دار العلم للملايين ، ط1، بيروت ،1973 .

79- عبد الرزاق محمود إسماعيل ، الخوارج في بلاد المغرب ، دار الثقافة ، ط2، المغرب 1985 .

80- العربي إسماعيل ، دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، 1980 .

81- عمارة علاوة ، دراسات في التاريخ الوسيط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،2008.

82- أبو عمران الشيخ و آخرون ، معجم مشاهير المغاربة ، مؤسسة صونيام للنشر، ط 2 الجزائر .

83- عويس عبد الحليم ، دولة بني حماد ، دار الصحوة للنشر و التوزيع ، ط2، القاهرة 1991 .

84- كمال مصطفى ، جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب من خلال نوازل و فتاوي المعيار للونشريسي ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية 1936 .

85- لقبال موسى ، المغرب الإسلامي ، الشركة الوطنية لنشر و التوزيع ، ط2، الجزائر 1981.

86- محمد بن تاويت الطنجي ، رحلة ابن خلدون ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت 2004.

87- الميلي بن محمد مبارك ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ج2 .

88- نسيب محمد ، زوايا العلم و القرآن بالجزائر ، دار الفكر، الجزائر .

89- نويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية ، ط2، بيروت ، 1980 .

90- الهنتاني نجم الدين ، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي ، تبر الزمان ، تونس ، 2004 .

باللغة الفرنسية :

91- A.Berque : Art Arntique et art musulman en algerie ,publication du comité national metropolitaion du centenaire de l'algerie .

92-De beylie : la kalaa des beni hamad , ernest lerousc , paris ,1909.

المذكرات :

باللغة العربية :

93- بوحسون عبد القادر ، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس خلال العهد الزياني "633 هـ -962 هـ " / 1235 م – 1554 م " ، مذكرة لنيل شهادة ماجستر في تاريخ المغرب الإسلامي ، جامعة ، حي بكر بلقايد –تلمسان ، الجزائر ، 2007 ، 2008 .

94- بوشقيف محمد ، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرن 8 – 9 هـ ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتورة في التاريخ الوسيط ، قم التاريخ جامعة تلمسان ، 2011 .

95- شقدان بسام كامل عبد الرزاق ، تلمسان في العهد الزياني ، 633 -962 هـ ، مذكرة لنيل شهادة الماجستر ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، 2006 .

96-عزوق عبد الكريم ، المعالم الأثرية إسلامية ببجاية و نواحيها ، أطروحة لنيل شهادة دكتورة في الآثار الإسلامية ،جامعة الجزائر، 2007 – 2008 .

97-فيلالي عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني، ج ، ج2 ، موفم للنشر الجزائر ، 2007 .

باللغة الفرنسية :

98-lachachi amira , « hédersas mérinides : al bou inaniyya de fes et sidi boumediene de temcen –etude comparative –mémoire pour l'obtention du diplôme de magistere spécialité archeologie du maghreb islamique , universsite abou bekr belkaid ; tlemcen ,2013-2014.

الدوريات:

99- بختاوي القاسمي " من أعلام تلمسان ، أبو عبد الله الشريف التلمساني " 716 هـ . 771 هـ 1316 .1370 م " دورية كان التاريخية ، العدد 18 – 2012 .

100- بورويبة رشيد ، " جولة عبر مساجد تلمسان " ، مجلة الأصالة ، العدد 26 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف – تلمسان ، العدد 26، 2011 .

101- بوشقيف محمد ، " المدرسة و نظام التعليم بالمغرب الأوسط خلال القرنين 8هـ - 9 هـ 14م-15م دورية كان التاريخية ، العدد 11 ، 2011 .

102- بوعبدلي مهدي ،" أهم الأحداث الفكرية في تلمسان عبر التاريخ و نبذ مجهولة من تاريخ حياة بعض أعلامها ، مجلة الأصالة، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف .

103- حاجيات عبد الحميد ،" الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان " مجلة 11 ، مجلة الأصالة العدد 26 ، منشورات وزارة الدينية و الأوقاف ، تلمسان ، 2011 .

104- محمدي محمد ، المساجد و الزوايا ببجاية و دورها في حفظ الدين و الفكر الصوفي حوليات التراث ، جامعة مستغانم ، العدد 13، 2013 .

القواميس:

105- الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، تحقيق أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد ، دار الحديث القاهرة ، 2008 .

106- منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، مج1 .

قائمة المحتويات

كلمة شكر

إهداء

مـقدمـــة.....(أ- ط)

الفصل الأول : عوامل ازدهارالحياة العلمية و مظاهرها في تيهرت الرستمية

تمهيد : 10

المبحث الأول : لمحة جغرافية و تاريخية عن مدينة تيهرت :..... 11

المبحث الثاني : دور الأئمة الرستميين في الحياة الفكرية : 18

المبحث الثالث: المراكز التعليمية : 28

المبحث الرابع : العلوم و العلماء :.....32

الفصل الثاني : عوامل ازدهار الحياة العلمية و مظاهرها في بجاية الحمادية

تمهيد.....43

المبحث الأول **:** لمحة جغرافية و تاريخية عن مدينة بجاية : :.....44

المبحث الثاني : دور الحكام الحماديين في الفكرية :.....54

المبحث الثالث: المراكز التعليمية :.....57

المبحث الرابع : العلوم و العلماء :.....65

الفصل الثالث : عوامل ازدهار الحياة العلمية و مظاهرها في تلمسان الزيانية

تمهيد :.....78

المبحث الأول **:** لمحة جغرافية و تاريخية عن مدينة تلمسان :.....79

المبحث الثاني : دور الحكام الزيانيين في الفكرية :.....86

المبحث الثالث: المراكز التعليمية :.....94

المبحث الرابع : العلوم و العلماء :.....106

تمهيد:.....122

المبحث الأول **:** دراسة مقارنة بين دور الحكام في الحياة الفكرية :.....123

المبحث الثاني :المؤسسات التعليمية و دورها الثقافي في المغرب الأوسط :.....126

المبحث الثالث: دراسة مقارنة بين العلوم و العلماء:.....131

الخاتمة 133

الملاحق 136

فهرس الأماكن والأعلام.....144

المصادر والمراجع :.....157